الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي _جامعة جيجل _
كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

- مذكرة بعنوان.

أثر النظرية التشومسكية في تعليمية اللغة

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

- تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة: إشراف الدكتور:

- آسيا بلمحنوف
- فيصل الأحمر

أعضاء لجنة المناقشة

1- أ. رياض بوزنية رئيسًا.
2- د. فيصل لحمر مشرفًا ومقررًا.
3- أ. جمال بلقاسم عضوا مناقشًا.

السنة الجامعية 2015/2014 م

1436/1435 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

«إذا أردت أن تكون باحثًا مخلصًا عن الحقيقة فمن الضروري أن تشك في كل شيء لأقصى درجة ممكنة على الأقل مرة واحدة في حياتك»

«رينيه ديكارت»

«أستبعد أن يكون العقل صفحة بيضاء يوم الولادة»

«نعوم تشومسكي»

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ابراهيم 7

الشكر لله أولاً الذي أعانني على إنجاز هذا العمل.

تتبعثر حروف كلماتي وتتمايل أنامل يدي وأنا بصدد تقديم الشكر الخالص إلى الدكتور المشرف فيصل الأحمر، الذي تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر إليه، على كل ما قدمه لي من توجيهات هادفة، ونصائح قيمة، وعلى كل الوقت والجهد المبذول في متابعة هذا البحث، والإشراف عليه في كل مراحله، فلّه منّي خالص الشكر والثناء والتقدير.

كما أقدم شكري إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وأخص بالذكر الأستاذ حسان زرمان، والأستاذ رياض بوزنية، والأستاذ الدكتور عبدالله عيسى لحيلح، والدكتور أبوزيد مومني، والأستاذ جمال بلقاسم، والأستاذ النواري رزوق، والدكتورة سلمى شويط، والأستاذة غنية بوحوش، والأستاذة حياة طكوك، كما أتقدم بالشكر إلى كل الأصدقاء الذين ناضمهم فشلي فعاتبوني، وسرَّهم نجاحي فشجعوني وأخص بالذكر الأستاذ عبد الغني

إهداء

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب 33

إلى أفصح من نطق بالضاد صلوات ربّي وسلامه عليه

إلى آل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام

إلى روح جدتي - رحمها الله -

إلى والدي - أطال الله عمريهما -

إلى نفسي

أهدي هذا العمل المتواضع

فهرس الموضوعات	
أثر النظرية التشومسكية في تعليمية اللغة	**الصفحة**
مقدمة	أ - د
الفصل الأول: مدخل تاريخي للنظرية التوليدية التحويلية	43-2
المبحث الأول: الإطار الفلسفي والمعرفي للنحو التوليدي التحويلي	1
المطلب الأول: نبذة عن الفكر اللغوي التشومسكي	1
المطلب الثاني: الخلفيات الفلسفية والمعرفية للنحو التوليدي التحويلي	7
المبحث الثاني: قواعد وأطوار النظرية التوليدية التحويلية	20
المطلب الأول: المنهج التوليدي التحويلي	20
المطلب الثاني: مراحل نشأة وتطور النظرية التوليدية التحويلية	23
المطلب الثالث: المفاهيم الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية	30
1. اللغة	30
2. النحو	32
3. الجملة	34
4. التوليد والتحويل	36
5. البنية السطحية والبنية العميقة	38
6. الحدس	40
الفصل الثاني: النظرية العقلية، وآليات اكتساب وتعلم اللغة	69_43

المبحث الأول: المفاهيم النظرية، وقواعد اكتساب وتعلم اللغة	43
المطلب الأول: مفاهيم نظرية عامة	43
1. إبداعية اللغة	43
2. الكفاية اللغوية	45
3. الأداء اللغوي	48
المطلب الثاني: قواعد اكتساب وتعلم اللغة في النحو التوليدي التحويلي	50
الفرضية الفطرية	51
النحو الكلي	52
التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي	54
المبحث الثاني: النظرة العقلية للعملية التعليمية، وآراء اللغويين فيها	57
المطلب الأول: توظيف النظرية الألسنية في تعليمية اللغة	57
المطلب الثاني: مناقشة آراء تشومسكي المتعلقة بتعليم اللغة	66
الخاتمة	70
ملحق المصطلحات	72
المصادر والمراجع	76

مقدمة

مقدمة :

حظيت النظريـــة التوليديـــة التحويليـــة Theory generative transformational grammar، كنظرية في علم اللغة بمكانة خاصة وبارزة في الدرس اللغوي الحـــديث، منـــد ظهورهـــا في خمسينيات القرن العشرين على يد منظرها أفرام نعوم تشومسكيAvram naom Chomsky، نظرًا لما قدمته من نتائج لا تقتصر فاعليتها في الدرس اللساني فحسب، بل في تخصصات ومجـــالات علميـــة أخـــرى كالفلسفة Philosophy ، وعلـــم الـــنفس Psychology، وتعليميـــة اللغـــات Educational language ، وقد مثلت هذه النظرية مرحلة مستقلة في تاريخ علم اللغة، ويعود هذا الاستقلال إلى أسباب كثيرة أهمها الخلفيات المعرفية والفلسفية التي بُنيت عليها هذه النظرية، وما تبنته من مبادئ تختلف في جوهرها عما كان سائدًا في ظل الدراسات البنيوية وبخاصة في صورتها الأمريكية.

وقد شكلت الآراء التي قدمها تشومسكي حول طبيعة اللغة الإنسانية، نظرية لسانية نقدية، لأنَّـــه لا يتيسر للساني فهم مبادئ هذه الآراء، إلاَّ في ضوء النقد اللاذع الذي وجهه تشومسكي للطروحات السلوكية في مجال اكتساب وتعلم اللغة، التي بُنيت في أساسها على مقولات الفلسفة التجريبية _ التي تـــرى أنَّ كـــل المعارف تُكتسب وتُتَعلم من خلال التجربة_، حيث أكدت النظرية الســـلوكية Behavioral theory، التي كان من أشهر منظريها واطسون Watson، وثورنـــدايك Thorndike، وبـــافلوف pavlov، وسكينر Skinner، أكدت أن اللغة مجموعة من العادات الكلامية التي تُكتسب وتُتعلم كغيرها من أنـــواع السوك الأخرى، وفق ثنائية المثير والاستجابة، ووفق مجموعة من التدريبات التي تعتمد أساسًا علـــى التـــذكر والتكرار والمحاكاة، والتقليد والحفظ وغيرها، وهذه التدريبات باعتقاد أصحاب هذه النظريـــة، هـــي الآليـــة الوحيدة التي يتعلم من خلالها الأفراد اللغة بطريقة سليمة وناجحة، لكن تشومسكي يرفض هذا رفضًا تامًـــا،

ويؤكد أن المفاهيم السلوكية حول اللغة، والآليات التي قدمتها لتعلم اللغة، تجعل من الإنسان آلة أو حيوانًا لا دور له في العملية التعليمية، في الوقت الذي يختص فيه الإنسان _في رأيه_ بقدرات عقلية تُمكنه من تعلم اللغة، وأي لغة كانت، وهذا معناه أن اللغة في عُرف تشومسكي ليست سلوكًا يُتعلم وفق التدريبات التي صاغها السلوكيين، بل إنَّ وراء كل تلفظ لغوي حقيقة عقلية تُوجده، ومن هذا المبدأ تحديدًا الذي يقر بارتباط اللغة الإنسانية بالعقل، وضع تشومسكي نظريته حول اللغات الإنسانية، وقد كان لهذه النظرية باع كبير في حقل تعليمية اللغة، وبما أن المشتغلين في حقل التعليمية يؤكدون أن نجاح العملية التعليمية يتطلب تداخل مجموعة من التخصصات والعلوم وعلى رأسها علم اللغة Linguistics، حاول المشتغلين في هذا المجال تطبيق بعض ما توصلت إليه هذه النظرية من نتائج على العملية التعليمية.

وعلى هذا سيعالج موضوع هذا البحث "أثر النظرية التشومسكية في تعليمية اللغة"، في محاولة لمعرفة مدى تأثير هذه النظرية على المناهج التعليمية التربوية، وقد كان ميلي للدراسات التي تهتم باللغات الإنسانية أحد أهم الأسباب التي جعلتني أدخل غمار هذا البحث ، بالاضافة إلى الأهمية العلمية التي تتمتع بها هذه النظرية، ويكفي الاستدلال على أهميتها ومبلغ نفوذها في أن الدراسات اللسانية اليوم، إمَّا أن تكون مهتدية بمبادئها وآرائها، أو أنّها تجعلها النقطة التي تبدأ منها لتبرر اختلافها، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه قد كانت هناك دراسات قاربت موضوع هذا البحث في جوانب معينة، على غرار الدراسة التي قدمها ميشال زكريا الموسومة ب "مباحث في النظرية التوليدية التحويلية وتعليم اللغة".

إنَّ إشكالية هذا البحث لا تبحث في النظرية التشومسكية باعتبارها نظرية ألسنية تريد تحديد أطرها المعرفية والفلسفية فحسب، بل إن الإشكالية الأساسية هنا تُركز حول تأثير آراء هذه النظرية في ميدان تعليمية اللغات، وبتعبير آخر تُحاول إشكالية هذا البحث أن تُجيب على السؤال الآتي: إلى أي مدى استفادت تعليمية

اللغة، بوصفها علمًا تطبيقيًا يهتم بطرق وأساليب التدريس من اللسانيات التوليدية التحويلية، بوصفها علمًا نظريًا يغلب عليه الكثير من التجريد؟، ولما كان المنهج المتبع في أي دراسة بمثابة المصباح الذي ينير طرق البحث فقد استعان البحث بمنهجين اقتضتهما طبيعة الدراسة وهما، المنهج التاريخي وكان أساسيًا عند التأريخ للخلفيات الفلسفية للنظرية ومراحل نشأتها وتطورها، والمنهج الوصفي الذي كان له هو الآخر دور في هذا البحث عند الحديث عن المفاهيم النظرية وتحليلها.

وجاء البحث في فصلين رئيسين، وكل فصل مقسم إلى مباحث، وكل مبحث إلى مجموعة من المطالب، أما الفصل الأول فجاء بعنوان: مدخل تاريخي للنظرية التوليدية التحويلية، وقد حاول أن يعالج أهم الخلفيات والمبادئ الفلسفية والعلمية التي تستند إليها هذه النظرية، اضافة إلى منهج الدراسة التي اعتمدته هذه النظرية، وأهم مراحل نشأتها وتطورها، وكذا مفاهيمها النظرية.

في حين جاء الفصل الثاني بعنوان: النظرية العقلية وآليات اكتساب وتعلم اللغة، حاول أن يعالج هو الآخر، قواعد اكتساب وتعلم اللغة في هذه النظرية، كما تطرق إلى أراء تشومسكي حول الطريقة التي يكتسب ويتعلم من خلالها الإنسان لغته انطلاقًا من نقده لآراء السلوكية في هذا المجال، وأخيرًا مناقشة أراء النحو التوليدي في مسألة الاكتساب والتعلم، بعدها خَلص البحث إلى مجموعة من النتائج كانت خاتمة ما وصل إليه.

واعتمد البحث على مجموعة من المراجع التي كانت سندًا علميًا قويًا، أثناء محاولة الإجابة عن إشكالية هذا البحث، واختلفت هذه المراجع فكان منها العربية، والمترجمة، والأجنبية ، أمَّا المراجع المدونة باللغة العربية، فكان أهمها الدراسات التي قدمها ميشال زكريا على غرار "بحوث ألسنية عربية"، "قضايا ألسنية تطبيقية" وغيرها، كما استعانت هذه الدراسة بمراجع مترجمة، كان أهمها الدراسة الموسومة ب " نظرية تشومسكي

اللغوية" Chomsky's theory of language، من تأليف "جون ليونز" John Lyons ، وترجمة حلمي خليل، ضف إلى ذلك المؤلفات التي كتبها نعوم تشومسكي والتي ترجمت إلى اللغة العربية، على غرار" اللغة ومشكلات المعرفة"، "المعرفة اللغوية طبيعتها، أصولها، واستخداماتها"، وكانت أهم المراجع الأجنبية، التي اعتمد عليه البحث كتاب تشومسكي الموسوم ب "Language and mind".

وعلى غرار كل البحوث العلمية التي تسعى للوصول إلى الحقائق مهما بلغ حجم الصعوبات والعوائق التي تقف حاجزًا أمام وصولها، لم يخلو هذا البحث من صعوبات واجهته أثناء محاولته الإجابة عن الإشكالية التي طرحها، وهذه الصعوبات رغم تأثيرها ولو بشيء يسير على مسار البحث لا تستدعي ذكرها هنا.

وأخيرًا أقدم شكري للأستاذ المشرف على كل المجهودات التي بذلها أثناء إشرافه على هذا البحث، فلّه منّي كل الشكر والامتنان.

الفصل الأول: مدخل تاريخي للنظرية التوليدية التحويلية

المبحث الأول: الإطار المعرفي والفلسفي للنحو التوليدي التحويلي

المطلب الأول: نبذة عن الفكر اللغوي التشومسكي

يعد أفرام نعوم تشومسكي Avram naom chomsky أحد الشخصيات البارزة والمؤثرة في الساحة اللغوية والسياسية في العصر الحديث، إن لم يكن زعيمها، اضافة إلى كونه عالم نفس وفيلسوف من فلاسفة الفلسفة التحليلية وناقد ومؤرخ ومعلق سياسي، وُصف بالشخصية الثقافية البارزة في استطلاع للرأي عام 2005، وهو صاحب نظرية لغوية أحدثت ثورة في الفكر اللغوي الذي كان سائدًا حتى العقد السادس من القرن العشرين، أُطلق عليها اسم "النظرية التوليدية التحويلية" Theory generative transformational grammar، ظهرت هذه النظرية إلى الوجود بنشر تشومسكي كتابه الأول " المباني التركيبية" Structures syntatic، والتي جعلته يحتل مكانة خاصة في علم اللغة المعاصر، حيث لا يستطيع أي لساني، أو طالب في صف اللسانيات أن يتجاهل وجود هذه النظرية، وأن يقفز عليها دون فهمها، بل لقد أصبح كل عالم لغوي يقيس نفسه بما قدمه تشومسكي، وكل مدرسة لغوية تحدد موقفها وموقعها بالنظر إلى أراء ومواقف تشومسكي اللغوية.

« ولد أفرام نعوم تشومسكي في فيلاديفيا عام 1928م في عائلة يهودية روسية الأصل، كان والده من كبار علماء اللغة العبرية، ويخبرنا تشومسكي أن خبرته خلال طفولته في تصحيح أصول أحد كتب والده عن العبرية، كانت من المؤشرات التي أوحت له بأن اللسانيات قد تلائم ميوله الفكرية، وعندما أصبح تشومسكي طالبًا في جامعة بنسلفانيا تحول إلى دراسة اللسانيات من خلال تطابق آرائه السياسية الراديكالية، مع آراء زيليغ هاريس Zellig Harris الذي كان أستاذًا هناك (...)، وفي عام 1955م أسندت إليه وظيفة مدرس في معهد ماساتوشتن للتكنولوجيا Massachusettes institue of technology »[1]، ومند ذلك الوقت ظلّ يترقى في مساره العلمي، حتى حصل على كرسي الأستاذية في علم اللغة، وقد حصل تشومسكي على عدة درجات فخرية من جامعات ومعاهد عالمية،« ففي عام 1968 حصل على درجة الدكتوراه

(1) جفري سامسون: مدارس اللسانيات.التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1998، ص135.

الفخرية من جامعة شيكاغو، وفي العام نفسه حصل أيضًا على مثل هذه الدرجة من جامعة لندن، وفي عام 1980 منحته جامعة دلهي درجة الدكتوراه الفخرية، ثم حصل في عام 1983 على نفس الدرجة من جامعة ماساتوشتن».[1]

يوصف تشومسكي بأنَّه أب اللسانيات الحديثة نظرًا لما قدمه من أعمال في هذا المجال، وهو شخصية بارزة في الفلسفة التحليلية*، وقد كان عضوًا فعالاً في الكثير من الجمعيات اللغوية وغير اللغوية، على غرار الجمعية الأمريكية للتقدم العلمي، والأكاديمية القومية للعلوم، والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية، وغيرها، « وليست شهرة تشومسكي ومكانته بين علماء اللغة هي التي صنعت منه علمًا من أعلام الفكر المعاصر، لأنَّ علم اللغة النظري يعد من العلوم غير المعروفة إلاَّ بين فئة قليلة من الناس وكثير منهم لم يسمع به، بل هناك من لا يعرف شيئًا عن هذا العلم (...)، ويرجع الفضل في ذلك _إلى حد كبير_ إلى ما قدمه نعوم تشومسكي لهذا العلم، والدليل على ذلك احتشاد أكثر من ألف طالب وأستاذ لكي يستمعوا إلى محاضراته في فلسفة اللغة عندما حضر إلى جامعة إكسفورد في ربيع عام 1969، وقليل من هؤلاء كانت له معرفة سابقة بعلم اللغة».[2]

وقد حاول الكثير من الباحثين واللغويين دراسة الخلفيات الفكرية والفلسفية والسياسية والاجتماعية عند تشومسكي، ومدى صلتها أو قرابتها بآرائه العلمية وبوجه خاص في ميدان علم اللغة، وعلى اعتبار أن تشومسكي عقلاني يسير على خطى أفلاطون Plato وديكارت Descarts، فقد كانت النزعة الفلسفية العقلانية واضحة جدا في دراساته اللغوية وآرائه السياسية والاجتماعية.

---

(1) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1995، ص 12.

*= هي نتاج مشترك لتزواج مذهب جورج مور الفيلسوف الإنجليزي وأفكار الوضعيين الجدد، وفي داخل هذا الاتجاه التحليلي ذاته، يمكن للباحث أن يميز بين عدة تيارات، فهناك أتباع كارناب الذين يحاولون التوصل إلى تعريفات دقيقة للمفاهيم الأساسية التي يستخدمها العلم، وفي إطار لغة صورية، أما المدرسة التي تتبع جورج مور، فإنها تؤسس عملها، على العكس، على اللغة العادية وتؤكد، معه على أن الاتفاق مع اللغة المشتركة بين الناس هو الشرط الأساسي للتحليل العلمي الصحيح، وهناك أتباع فتجنشتين، أو العلاجيون، الذين يعتبرون الفلسفة نوعا من العلاج المنطقي من المشكلات الزائفة، التي ينبغي رفضها تماما بالاعتماد على النظريات التقليدية للوضعية الجديدة، وكثيرا ما يوضع في عداد ممثلي الفلسفة التحليلية فلاسفة مستقلون أو منتمون إلى تبارات مختلفة تماما عن التيار الوضعي، ويكونون ممن يمارسون التحليل التفصيلي الدقيق لمفاهيم العلم والفلسفة وطرائقها، ولكن هؤلاء المفكرين، والجدليين كذلك، لا ينتسبون إلى الفلسفة المادية، فالذي يجمعهم مع ممثلي الفلسفة التحليلية هو تشابه المناهج وحده.(بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، ع165، الكويت، 1992، ص 103.)

(2) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، (مرجع سابق)، ص 29_30.

وبعيدًا عن اللغة يبدو اهتمام تشومسكي بالسياسة واضحًا جدا، وربما يرجع هذا إلى كونه يهوديًا يعيش في مجتمع مسيحي،« وقد تكونت أراؤه السياسية مبكرًا فيما عُرف بالمجتمع اليهودي الثوري في مدينة نيويورك وكعادة معظم الأقليات اليهودية كان يميل إلى نزعات متطرفة فقد كان فوضويًا، ثم أصبح اشتراكيًا، ولكن شهرته السياسية جاءت من نقده اللاذع للسياسة الأمريكية الخارجية، وخاصة إبان التورط الأمريكي في الفيتنام، وهو يصدر في هذا النقد عن مقولة عامة ترى أن الحرب في الفيتنام هي من قبيل جرائم الحرب (War crimes)(...)، ولكنه فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي يصدر كتابًا كاملاً في هذا الموضوع بعنوان "السلام في الشرق الأوسط" Peace in the middle east (...)، وبشكل عام يرجع الصراع العربي الإسرائيلي إلى أسباب تاريخية خاصة بفلسطين وأسباب تاريخية خاصة باليهود، وهو يرى أن الرأي العام الأوروبي والأمريكي عندما يتعاطف مع الوجود الصهيوني في فلسطين، يخلط بين الأسباب التاريخية الخاصة باليهود في أوروبا، والأسباب التاريخية التي تراها الصهيونية في فلسطين، ففي أوروبا عانى اليهود من الإضهاد النازي وغيره، أما في فلسطين فيدعي _طبعا_ أن لهم وجودًا تاريخيًا ويستند في إثبات هذا الوجود إلى أساطير التراث، وينتهي إلى أن من حق العرب والصهاينة العيش معا في سلام داخل إسرائيل».[1]

ü أهم مؤلفات تشومسكي

ألف تشومسكي العديد من المؤلفات اللغوية، والسياسية اضافة إلى المقالات المنشورة، والمقابلات الصحفية والإذاعية، وفيما يلي عرض لأهم مؤلفاته اللغوية والسياسية، على سبيل المثال لا الحصر:

1. أهم مؤلفاته اللغوية:

- **ü** المباني التركيبية (Les structures syntaxiques) 1957م، يعد أول مؤلف نشره تشومسكي وهو بمثابة دستور لنظريته الجديدة، ويظهر فيه بشكل واضح أن تشومسكي قد تخطى اللسانيات البنيوية خاصة في صورتها البلومفيلدية.
- **ü** ملامح النظرية التركيبية (L'aspects de la théorie syntaxique) 1965م، يحتوي هذا الكتاب على أهم المفاهيم في النظرية التوليدية التحويلية، وفيه ذكر لأول مرة مصطلحي البنية العميقة

(1) المرجع نفسه: ص 14_15.

والبنية السطحية، ومصطلحي الكفاية اللغوية والأداء الكلامي والتمييز بينهما، وكذا مفهوم الجملة الأصولية والجمل المشتقة.

- اللسانيات الديكارتية (La linguistique cartésienne) 1966م، عالج فيه الإشكالات المتعلقة بالفكر، ويشير فيه إلى الأبعاد الفلسفية التي تقوم عليها نظريته، ويستحضر أراء الفيلسوف الفرنسي ديكارت، والألماني همبولد ومدى تأثيرها في نظريته.
- اللغة والفكر (La langue et la pensée) 1968م، يضم هذا الكتاب ثلاث محاضرات، تحدث فيها عن البحث اللساني بصورة عامة.
- الأنماط الصوتية في اللغة الإنجليزية (Les types phonologique de lalangue anglais) 1986م.
- المعرفة اللغوية طبيعتها، أصولها، واستخداماتها (La connaissance linguistique, ses origines et ses fonctions)، ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب تحديدًا لنظرية النحو التوليدي التحويلي، كما أنَّه عالج النقد والطروحات التي قُدمت لتطوير هذه النظرية.
- اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ماوراء التفسير (Linguistique générative d'interprétation à l'interprétation au-delà)، الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات، التي ترصد تطور النحو التوليدي في صيغته الأخيرة، المعروفة بالبرنامج الأدنوي، على امتداد عشر سنوات.
- اللغة والمسؤولية (La langue et la responsabilité)، الكتاب في أصله حوار بين نعوم تشومسكي واللغوية الفرنسية ميتسيورونات "M.Ronat"، و لم يكن الحوار مجرد أسئلة وأجوبة، بل كانت مساهمة هذه اللغوية في الحوار واضحة وفعالة من خلال النقاش والتعليق.

2_مؤلفاته السياسية:

عالجت مؤلفاته السياسية، القضايا المتعلقة بالثورات والحريات، وبوجه خاص نقد السياسة الخارجية الأمريكية، وقد عُرف بنقده اللاذع للسياسة التي تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية، وفيمايلي مجموعة من المؤلفات تعد من أهم ما كتب تشومسكي في هذا المجال:

- تواريخ الإنشقاق Les dates clivage
- ماذا يريد العم سام؟ ? Quoi veut l 'oncle sam، ينقسم الكتاب إلى جزأين، في الجزء الأول ناقش تشومسكي الأهداف الرئيسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وكيف أنه فى سبيل تحقيق مصالحها وأهدافها، انتهكت وتجاوزت كل ما تنادي به من مبادئ الديموقراطية وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير، بدليل ممارساتها فى كوريا وفيتنام وتحالفها مع الحكومات العسكرية التى أقامتها فى أمريكا اللاتينية، أما فى الجزء الثانى من الكتاب فناقش وحلل تركيبة المجتمع الأمريكى المتعدد الأعراق والأديان، موضحاً أن القائمين على السياسة الأمريكية هم حفنة قليلة من محترفى السياسة وكبار رجال المال والإعلام.
- قراصنة وأباطرة Les pirates et les empireurs، يبدأ تشومسكي كتابه هذا بقصة قرصان وقع في أسر "الإسكندر الأكبر"، والتي يرويها القديس أوغستين، وهي قصة تلتقط بدقة العلاقة الراهنة بين اللاعبين الكبار واللاعبين الصغار على مسرح الارهاب الدولي؛ ورغم أن قصة "القديس أوجستين"، تُلقي الضوء على معنى ومفهوم "الإرهاب الدولي في الاستعمالات الغربية المعاصرة، إلا أنها تصل إلى " قلب السُعار"، الذي يثار حول "أحداث إرهابية"، مثل حوادث الإرهاب التي تشهدها دول عديدة مثل: سوريا والعراق، ولبنان، وليبيا واليمن وغيرها.
- سنة 501 اللغز مستمر L 'an 501 le devinette est contenu، يتحدث نعوم تشومسكي في هذا الكتاب بصورة مكثّفة عن الدور الاستعماري والاستبدادي الذي لعبته أمريكا عبر التاريخ، واضعاً تلك المعلومات ضمن منظور تاريخي مديد هو حصيلة السنوات الخمسمئة التي أعقبت رحلات كولومبس.
- الربح مقدمًا على الشعب، تحدث نعوم تشومسكي في هذا الكتاب عن النيوليبرالية: وهي نظام السياسات الاقتصادية والسياسية المؤيد للشركات الذي يشن حالياً شكلاً من أشكال حروب الطبقات الاجتماعية في العالم بأسره. حيث ينتقد تشومسكي الحكم الاستبدادي للقلة الذي يقصُـــر الميدان الشعبي على فئات محدد ويُـــحدث سياسات تزيد بشكل هائل من الثروة الخاصة، مع تجاهل تام، غالباً، للتبعات الاجتماعية والبيئية لذلك. كما يعرض هذا الكتاب أفكار تشومسكي حول فلسفة السوق الحرة، وهيمنة الشركات على الرأي العام، والأثر غير المعلن للقوى والسياسات اللاديموقراطية كمنظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، واتفاقية التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية...إلخ.

- الهيمنة أم البقاء La domination ou l'éxsistence، يحلل تشومسكي في هذا الكتاب السعي الأمريكي لتسيد العالم والسيطرة على الأنظمة، ويتتبع سياسات الحكومة الامريكية الهادفة إلى تحقيق السيطرة التامة على العالم.
- الدول الفاشلة Les tats défaillants، هو كتاب مكمل لكتاب "الهيمنة أم البقاء"، يحاول تشومسكي في هذا الكتاب أن يبين كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية تحمل الكثير من خصائص وسمات الدولة الفاشلة، كما يقدم الكتاب تقديمًا وتحليلاً جامعًا للقوى العظمى التي ادعت مند قرون أن لها الحق في التدخل والتحكم في شؤون الشعوب الأخرى والإطاحة بالحكومات التي تراها غير شرعية، واستعمار المناطق التي ترى فيها مصلحة، وفرض عقوبات على الدول التي تعارضها، في الوقت الذي تعيش فيه مؤسساتها وإداراتها فسادًا كبيرًا، ولأنَّ هذا الكتاب عالج هذه المحاور وغيرها يعد العمل النقدي الأشد تركيزًا ومطلوبية في العالم.

إن أعمال تشومسكي هذه جعلته يتمتع بموقع فريد في المشهد الفكري واللغوي والسياسي العالمي، حيث مثلَّ الشخصية القيادية الأبرز في الثورة المعرفية في الستينيات، وهيمن على الدرس اللغوي بفضل نظريته التي حاول من خلالها فهم اللغة الإنسانية، وتفسير القدرات الكامنة وراء معرفتنا بها، فلا شك في أن يكون تشومسكي أنموذجًا فريدًا وناذرًا استطاع أن يغير مسار الدرس اللغوي.

المطلب الثاني: الخلفيات الفلسفية والعلمية للنحو التوليدي التحويلي

تعددت واختلفت المذاهب والأصول الفلسفية والابستمولوجية التي استمد منها تشومسكي مبادئه عند وضعه لنظريته اللغوية، وقد« وجد في الفلسفة العقلانية ركيزة هامة لرفض جملة من التصورات والمبادئ الفكرية والنظرية العامة التي قامت عليها الدراسات اللسانية البنيوية في أمريكا، وبالفعل عاد تشومسكي إلى آراء الفلاسفة والنحاة العقلانيين ولاسيما آراء الفيلسوف رينيه ديكارت rené descartes (1596-1650)، وتحليلات النحاة المعروفين بنحاة بورروايال port royal، وآراء المفكر الألماني ويليام فون همبولت wilbem von humboldt (1767-1835)»[1]، إضافة إلى تأثره« بالاتجاه اللساني الأمريكي الوصفي الذي تزعمه هاريسHarris، والمعروف بالتوزيعية la distributionnalisme».[2]

إنَّ تعاطف تشومسكي مع الفلسفة العقلانية وتبنيه لها في مؤلفه اللسانيات الديكارتية (1966)،كان« الدعامة الفكرية الأوضح والحجة الأقوى في رفضه لطروحات اللسانيات البنيوية، ذات المنحى التجريبي القائم على تبني تصورات علم النفس السلوكي behaviorisme، في مجال تعلم اللغة واكتسابها، وتأثير كل ذلك على تحليلها اللساني العلمي، وبفضل هذا الفهم العقلاني للظاهرة اللغوية بيَّن تشومسكي كيف أن السلوكية لا تستطيع أن توضح لنا حقيقة السلوك اللغوي البشري، لأنها تسقط من حساباتها النظرية اعتبار الخصوصية اللغوية عند البشر، والمتمثلة في كون اللغة البشرية نشاطًا ذهنيًا، وعقليًا بامتياز مرتبط بالعقل والإرادة».[3]

وفيما يلي شيء من التفصيل في بعض الأفكار والمذاهب التي أثرت تلتقي مع ما قدمه تشومسكي.

1) الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت
2) مدارس بور رويال

(1) مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ اسماعيلي: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2010، ص 5.

(2) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 33.

(3) مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ إسماعيلي: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأذنوي: مفاهيم وأمثلة، (مرجع سابق)، ص 10.

3) الفيلسوف الألماني ويليام فون همبولد
4) المدرسة التجميمية
5) زيليج هاريس
6) النحو العربي

1- الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت: René descartes

تحدث تشومسكي في كتابه "اللسانيات الديكارتية" عن عقلانية ديكارت، ورغم أن تشومسكي لم يأخذ الفكر الديكارتي بحرفيته، إلاَّ أنَّه يدافع عن الأفكار التي يراها صالحة من بين أفكار ديكارت، وهي فكرة (الفطرية اللغوية) و (البنية العقلية) وفكرة (الملكة اللغوية)، حيث« أخذ تشومسكي عن ديكارت الفكرة المتعلقة بفطرية اللغة innéisme linguistique، (وهو ما يعرف أيضا بالفطرية اللغوية، أي وجود بنيات لغوية تصورية مجردة جاهزة للاستعمال عند الإنسان)».[1]

وهذه الفرضية القائلة بوجود بنيات لغوية جاهزة ومجردة قارة في العقل البشري، تلتقي مع فكرة الفطرية اللغوية في النظرية التوليدية التحويلية التي ترى أن« المادة اللغوية ترتبط مباشرة بالمتكلم – المستمع وبالذات، بمعرفته الضمنية بلغته»[2]، وهذه المعرفة أو الملكة يُنظر إليها حسب تشومسكي على أنَّها،« مكون فطري من مكونات العقل الإنساني يؤدي إلى إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة، فهي أداة تحول التجربة إلى نظام مكتسب من المعرفة، أي إلى معرفة لغة أو أخرى».[3]

لقد تحدث ديكارت في كتابه "مقال عن المنهج" عن علاقة اللغة بالعقل، ورأى أن اللغة الإنسانية مقترنة بالعقل، ويبدو هذا واضحً جدا في قوله:« إن معرفة الكلام لا تحتاج إلاَّ إلى شيء من العقل جد قليل»[4]، وهذه الفكرة هي الأساس الذي بني عليه النظرية التوليدية التحويلية، حيث عدَّ تشومكي اللغة« تنظيمًا عقليًا

(1) المرجع السابق: ص 5.
(2) ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992، ص47.
(3) نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية طبيعتها، وأصولها، واستخداماتها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص52.
(4) رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، تر: محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1985، ص261.

فريدًا من نوعه تستمد حقيقتها من حيث أنَّها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحر»[1]، وهكذا يعطي _تشومسكي_ للعقل أهمية كبيرة في المعرفة اللغوية، ويرى أن« الضعف الجوهري الذي تعاني منه المقاربات البنيوية والسلوكية يتحدد بأنَّه على العقل أن يكون أكثر بساطة في بُناه من الأعضاء الفيزيائية المعروفة، وأنه بإمكان أي افتراض أكثر بدائية أن يسمح بتفسير بعض الظواهر الممكن ملاحظتها».[2]

إنَّ الربط الذي أقامه ديكارت بين اللغة الإنسانية والعقل، جعله يقر في الوقت نفسه بأنَّ اللغة صفة ملازمة للجنس البشري، وهي التي تميزه عن غيره من الكائنات، وقد عبر عن موقفه هذا قائلا:« مما يستحق الذكر أنَّه ليس من الناس الأغبياء أو البلداء حتى دون استثناء البلهاء منهم، من لا يقدرون على تأليف كلمات مختلفة، وأن يركبوا منها كلامًا به يجعلون أفكارهم مفهومة، بالعكس ليس من حيوان آخر مهما كان كاملًا، ومهما نشأ نشأة سعيدة يستطيع أن يفعل هذا».[3]

يفهم من كلام ديكارت أن الإنسان مهما كانت نسبة ذكائه قادر وبشكل كبير على التحكم في لغته، وتظهر هذه القدرة في قدرته على تأليف مجموعة من الكلمات المختلفة، والتراكيب المفهومة التي تعبر عن أفكاره وحاجاته ورغباته، في حين لا يستطيع الحيوان أن يؤلف كلمات أو جملاً وتراكيب متنوعة، فالحيوان قاصر تماما على فعل هذا مهما كان كاملاً، إذن فمهما كان غباء الإنسان فإنَّه قادر على استعمال لغته بشكل صحيح، ومهما كان ذكاء الحيوان لا يستطيع استعمال اللغة وتوظيفها، وهذا ما ذهب إليه تشومسكي أيضا حين قال بأنَّ:« اللغة واحدة من الخصائص المقصورة على النوع الإنساني في مكوناتها الأساسية، وهي جزء من إعدادنا الإحيائي المشترك shared biological endowment الذي لا يختلف فيه أعضاء النوع الإنساني إلا قليلا، مع استثناء من يُصاب بعيب عضوي شديد، يضاف إلى ذلك أن اللغة تدخل بطريقة جوهرية في الفكر والفعل والعلاقات الاجتماعية».[4]

---

(1) ميشال زكريا : مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط2، 1985، ص 74.

(2) Noam chomsky: le langage et la pensée.Ed. payot .paris.1970.
(نقلاً عن: يوسف مقران، الدرس المصطلحي واللسانيات، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2010، ص23).

(3) رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، تر: محمود الخضيري، (مرجع سابق)، ص 261-262.

(4) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995، ص13.

«وعلى هذا فالمظهر الإبداعي في الممارسة اللغوية كما تصوره ديكارت له مجموعة من التجليات، منها أن هذا المظهر دائم وغير متناه وأنه لا يتقيد بالحوافز، ومن هذه التجليات أيضا مطابقة المقامات المختلفة وإنتاج الأشكال اللغوية المبتكرة، ومنها كذلك أن المتلقي لا تعوزه الحيلة أبدا في فهم هذه الأشكال الجديدة، ولو كانت حداثتها حتى بالنسبة لتاريخ اللغة التي يستعملها بجملته، كما لا تعوزه الحيلة أبدا في فهم مطابقة تلك الأشكال للمقامات التي تمثل إطارها الإنتاجي»[1]، وهذا التصور قريب إلى حد بعيد من تصور تشومسكي للإبداعية.

2- نحو مدارس "بور_رويال": Port – royal

تعد من أشهر المدارس النحوية التي ظهرت في عصر النهضة، «أسست (...) في سنة1637، وحلت في 1661م نتيجة الصراعات الدينية والسياسية في فرنسا آنذاك، وقد نشر أول عمل لأصحابها في سنة 1660 تحت عنوان "النحو العام والعقلي" grammaire générale et raisonnée، وأعيد نشره في سنة 1830 (...)، ومن الواضح أن أساتذة هذه المدارس كانوا متأثرين بالمذهب العقلي rationalisme والفلسفة السكولاستية[2] »[3]، هذا المذهب الذي كان يرى أن العقل مصدر كل معرفة.

ويمكن اختزال تأثير نحاة هذه المدرسة في النحو التوليدي التحويلي« من خلال تأكيدهم على تفرد الإنسان بالقدرة على اللغة، رغم بعض التشابه بلغة الحيوان»[4]، وهذا ما ذهب إليه تشومسكي حين عدَّها خاصية إنسانية ، ومن جهة أخرى اللغة عند نحاة هذه المدرسة تتميز« بالتوليد والاقتصاد، فهي من الناحية المادية اختراع مذهل يتكون من أصوات قليلة، تُمكن من التعبير عن تنوع لا متناه من الكلمات، واللغة كما

(1) رشيد بوزيان: الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، ج1، دار القرافي للنشر، (د.ط)، المغرب، 1993، ص27.

(2) =فلسفة لغوية أوروبية ظهرت في القرون الوسطى، واستمرت حتى أوائل عصر النهضة، وقد بنيت على المبادئ النصرانية ومنطلقات أرسطو الفكرية ومفهومه لما وراء الطبيعة، وكان هدفها الأسمى إخضاع الفلسفة وكل العلوم الأخرى بما فيها النحو للاَّهوت الكاثوليكي(...) ، والفلاسفة السكولاستيين يشبهون الرواقيين في اهتمامهم باللغة بعدها أداة فعالة تساعد على تحليل "بنية الحقيقة"، وبالمعنى بوصفه وسيلة ضرورية لمعرفة الأشياء حق معرفتها= (أحمد مومن: اللسانيات.النشأة والتطور، ص31_32).

(3) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص49.

(4) مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ إسماعيلي: اللسانيات التوليدية من الأنموذج ماقبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، (مرجع سابق)، ص8.

هو الشأن عند ديكارت صورة تعبر عن العقل البشري في شموليته، وبذلك يشكل النحو من عدة أوجه البناء المنطقي العام الذي يمكن أن ترد إليه اللغة في جميع مظاهرها».[1]

وعلى هذا يلتقي نحاة بورورويال مع تشومسكي في اعتقادهم أن« العقل البشري قوة لا تضاهى، ويفضلون الفيلسوف الفرنسي ديكارت على الفيلسوف الإغريقي أرسطو».[2]

كما وجد تشومسكي في التحليلات النحوية لنحاة مدرسة بورورويال« أصلا لأفكاره الأولى المتعلقة بالتمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية، وانطلاقًا من هذا التصور العقلاني الوارد في نحو بورورويال، أصبحت الجمل في التحليل اللساني التوليدي في تصوراته الأولى تنقسم إلى جمل نواة أو جمل أساسية phrase de base / phrase noyau (ما يسميه نحاة بورورويال قضية أساسية proposition principale) وجمل فرعية phrase derivée (يسميها نحاة بورورويال قضايا عرضية proposition accidentelles)، يتم الربط بينهما تحويليا».[3]

إذن أكد نحاة هذه المدرسة على أن اللغة الإنسانية تتميز بالتوليد، وهذا ما ذهب إليه تشومسكي عندما أكد أن« اللغة لا يمكن أن تكون استجابة لمثير، وإلاَّ كانت نشاطًا آليًا، وإنَّما لغة إبداعية Créative، تتكون من عناصر محدودة يمكن حصرها، لكنها تنتج جملاً لا تنتهي عند حصر، ومن ثم فإنَّ الإنسان ينتج كل يوم مئات من الجمل لم ينتجها من قبل».[4]

3- الفيلسوف الألماني ويليام فون همبولد: Wilhelm von Humboldt (1767-1835):

كان تأثير الفكر الهمبولدي على الفكر التشومسكي واضحًا جدا، ويبدو هذا من خلال إشارة تشومسكي في كتابه "مظاهر النظرية النحوية" إلى تصور هذا المفكر للغة، وقال بضرورة الرجوع إلى التصور الهمبولدي للغة، كما تحدث الكثير من الباحثين واللغويين عن تأثير همبولد في تصور تشومسكي للغة، ومن هؤلاء "مصطفى غلفان" في كتابه "اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي"، وما

(1) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(2) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص49.

(3) مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ إسماعيلي: اللسانيات التوليدية من الأنموذج ماقبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، (مرجع سابق)، ص9.

(4) عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص25-26.

يميز همبولد عن غيره من الباحثين واللغويين أنّه،« لم يقتصر على دراسة ظاهرة لغوية معينة، بل حاول إقامة نظرية لغوية شاملة، إنّه أدرك في هذا الزمن المبكر أن اللغة ملكة من عمل العقل»[1]، وهذا ما تحدث عنه تشومسكي عندما عدّ اللغة خاصية إنسانية مرتبطة بالعقل والفكر الإنسانيين، وحاول معرفة القواعد الكلية التي تسير وفقها اللغات الإنسانية.

كما أشار همبولد إلى فكرة "إبداعية اللغة"، التي تعد من المقولات الأساسية في النحو التوليدي التحويلي، حيث رأى أن« المتكلم بواسطة اللغة، يستطيع أن يولد ما لا حصر له من الجمل انطلاقا من قواعد محدودة».[2]

بالإضافة إلى هذا أشار همبولد إلى أن للغة شكلين« شكل خارجي آلي يتمثل في الكلام، وشكل داخلي عضوي (organique) يتمثل في العمليات العقلية الذهنية، وقد استفاد تشومسكي (chomsky) في العصر الحديث من هذه الثنائية وجاء بما يسمى بالبنية السطحية والبنية العميقة، وبالكفاءة (La compétence)، والأداء (La performance)، وبمفهوم الجانب الخلاق (greativity)».[3]

وقد ذكر تشومسكي في كتابه مظاهر النظرية النحوية أن مفهومي البنية العميقة، والبنية السطحية في نظريته قريب جدا إلى مفهومي الشكل الداخلي، والشكل الخارجي عند همبولد.

4- المدرسة التجميمية La tagemimique:

تعد من بين المدارس اللغوية الأمريكية التي اهتمت بالمعنى، وقد« طورت هذه المدرسة فكرة تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة»[4]، ورائدها« "اللساني بايك" وهو من تلاميذ "سابير"، ولقد أوجد هذا اللساني نظرية تسمى (قراميميك gramémique)، ثم سميت لاحقا (tugemimique)، وضعت هذه النظرية مابين 1954 و 1960، وتقوم على مبدأ جوهري هو أن اللغة عنصر من السيرة والتطور البشري، لذلك، فإنها (أي اللغة) وكافة الخطابات الأخرى قابلة لأن تحلل وفق ثلاثة تسلسلات هي:

- المستوى الأول معجمي، وأصغر وحدة فيه هي المورفيم.

(1) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص60.

(2) مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ إسماعيلي: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، (مرجع سابق)، ص10.

(3) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص60.

(4) ندى الظاهر: المدرسة التجميمية الأمريكية، منشورات جامعة المدنية العالمية، كلية اللغة العربية، ماليزيا، ص1.

- المستوى الثاني فونولوجي، وأصغر وحدة فيه هي الفونام.

- المستوى الثالث نحوي، حيث يكون الغرام أو التجمام (tagmème) أصغر وحدة نحوية، والتجمام هو موقع في البنية النحوية أو الصرفية لها وظيفة».[1]

كما اهتمت هذه المدرسة بالمنهج التفسيري، وخاصة على يد مطورها كنيب بايك (Kneipp pike)، الذي رأى أن وصف اللغة لا يكفي لفهمها، إذ لابد من الشرح والتفسير، وفكرة الاهتمام بالتفسير فضلاً عن الوصف من الأفكار التي تبناها تشومسكي، إذ يرفض تشومسكي« تحويل اللغة إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى ومن العقل في هذا الوصف السطحي الذي صوره دي سوسير».[2]

5_ زيليح هاريس: Zellig Harris

كان هاريس أول من لجأ إلى فكرة التحويل، أو المنهج التحويلي في دراسة اللغة، وذلك في مقاله "الثقافة والأسلوب في الخطاب المطول"، وبما أن تشومسكي قد« تتلمذ على يد "هاريس" الذي يعد قطبًا من أقطاب المدرسة الوصفية فهو في الحقيقة نتاج وسط بلومفيلدي، ولكنه خالف أستاذه في الأخير - المنهج الوصفي-، وتبنى فكرته الجديدة في التحويل»[3]، فرغم التغيير الذي طبع النظرية اللسانية بعد طرح تشومسكي لأفكاره اللغوية، إلاّ أن مصطلح التحويل عند هاريس (المدرسة التوزيعية distibutionalisme) حظي بإعجاب تشومسكي، و« أخذ عن أستاذه هاريس مصطلح "التحويل"، لكن منهج التحويل عند هاريس يختلف عن منهج التحويل عند تشومسكي، لأن التحويل الهاريسي هو تحليل توزيعي للبنى السطحية، بينما التحويل التشومسيكي هو تحليل يحدث في البنى العميقة المجردة، وليس في البنى السطحية المادية كما عند أستاذه هاريس، كما أن التحويل التشومسكي يهتم بالقاعدة النحوية (التوليدية طبعا) التي تسمح بالمرور من مستوى (ب.ع) إلى (ب.س) (...)، وكذا مجمل العمليات التحويلية المرتبة التي تؤدي إلى تغيير التمثيل المجرد لهذه البنية العميقة نحو تمثيل نهائي سطحي (ب.س)».[4]

(1) ينظر: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق)، ص27-28.

(2) أحمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1985، ص37.

(3) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص202.

(4) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق) ص59.

كما أخذ تشومسكي عن أستاذه هاريس« فكرة الجملة النواة والتوليدية، وقواعد التحويل وقوانينه وقدرة المتكلم على إدراك الخطأ من الصواب، وفوق ذلك كله أخذ عنه منهج التحليل بالرموز، فحدد تشومسكي هذه المصطلحات وأضاف إليها وطورها حتى كون مدرسته التي لها أسسها وقواعدها وقوانينها».[1]

6_ النحو العربي

إنَّ ما نادى به تشومسكي لا يختلف إجمالاً عما نادى به علماء العربية في الكثير من القضايا والمسائل اللغوية، حيث يلتقي النحو العربي مع النحو التشومسكي في جوانب كثيرة ، وهذا لا يعني أن النحو التوليدي التحويلي كنظرية لسانية كان موجودًا في النحو العربي ، لكن تشومسكي نفسه لم يخفي دراسته للنحو العربي، وقد صرح بهذا في قوله:« قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة، كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، ومازلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت- أظن أكثر من ثلاثين عاما-، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز رونتال (...)، وكنت وقت ذاك طالبًا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا، وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري».[2]

يظهر من كلام تشومسكي أنه قد طالع النحو العربي إضافة إلى النحو العبري، وقد التقى تشومسكي مع الكثير من علماء ونحاة العربية في الكثير من الأفكار المتعلقة باللغة، منهم ابن خلدون الذي تحدث عن قضية الاكتساب اللغوي في مقدمته، وعبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم.

ومن بين الأفكار التي أشار إليها ابن خلدون، والتي تتشابه إلى حد بعيد مع ما طرحه تشومسكي، فكرة "الملكة اللغوية" من حيث أنها خاصة بكل إنسان، ومفهوم الملكة عند ابن خلدون ترتبط بالإنسان وتحديدًا في،« قدرته على تحصيل اللغة وحسن استخدامها، من حيث الجودة والفساد، وما يدل على ذلك هو سعي العلماء للحصول عليها من الفصحاء (...)، لأن الفصيح يقترب من المتكلم- المستمع المثالي الذي تنعكس ملكته على كلامه انعكاسًا يكاد يكون مثاليا».[3]

(1) أحمد خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1984، ص 51.
(2) مازن الوعر: لقاء مع نعوم تشومسكي، مجلة اللسانيات، ع6، جامعة الجزائر، 1982، ص 72.
(3) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 152.

كما تحدث ابن خلدون عن علاقة اللغة بالفكر، وعن قدرة الإنسان على اكتساب وتعلم اللغة، والتمييز بين الفصيح والملحون من الكلام، حيث يقول:« إن الإنسان جاهل بالذات، عالم بالكسب، وقد ميز الله تعالى الإنسان عن الحيوان بالفكر».[1]

بالإضافة إلى هذا اشتملت مدونة البحث النحوي العربي على معالم أساسية من النحو التوليدي التحويلي ومنهجه، وقد غلبت هذه المعالم على تفكير نحاة وعلماء العربية الذي سبقوا تشومسكي بمئات السنين، بل إن بعض الدارسين يذهب إلى أن نظرة تشومسكي نظرة ليست جديدة في عالم البحث اللغوي، حيث اهتم الكثير من اللغويين والباحثين بالبحث في التأصيلات النحوية التي وضعها نحاة العربية، والتي تقترب من المنهج التحويلي، منهم "عبده الراجحي" في مؤلفة "النحو العربي والدرس الحديث"، الذي عرض فيه وجهات نظر النحو العربي الموافقة للمنهج الوصفي وبعدها المنهج التحويلي، و "محمد عبد المطلب" في مؤلفه "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي"، و"محمود سليمان ياقوت" في دراسته "التراكيب غير الصحيحة نحويا في الكتاب لسيبويه"، و"محمد حماسة" في كتابه "من الأنماط التحويلية في النحو العربي".

ثم إن الخلاف بين المنظورين الفطري، والتجريبي في تفسير كيفية الحصول على المعرفة اللغوية ظهر في اللغويات النظرية العربية القديمة وفي مباحث علم الكلام، في سياق تفسير مبدأ المواضعة، وفيما يلي أسانيد دالة على اعتناء علماء العربية بمسألة المعرفة اللغوية، وهل هي منحة فطرية، أم كسب بشري .

ذكر الشهرستاني في "نهاية الأقدام" في سياق حديثه عن اللغة أنَّه« لو قدرنا إنسانا خاليا من العبارات كلها أبكم لا يقدر على النطق لا شك أن نفسه لا تحدثه بعربية ولا عجمية ولا لسان من الألسنة، وعقله يعقل كل معقول وإن كان يعرى عن كل مسموع ومنقول، فعلم أن الكلام الحقيقي هو الحروف المنظومة التي في اللسان والمتعارف من أهل اللغة والعقلاء، إن الذي في اللسان هو الكلام، من قدر عليه فهو المتكلم، ومن لم يقدر عليه فهو الأعجم، فعُلم من ذلك أن الكلام ليس جنسا ونوعا في نفسه، ذا حقيقة عقلية كسائر المعاني بل

(1) ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1963 ، ص1017-1018.

هو مختلف بالمواضعة والاصطلاح والتواطئ، حتى لو تواطأ قوم على نقرات وإشارات وزمرات لحصل التفاهم بها كما وصل بالعبارات».[1]

قول الشهرستاني هذا يندرج في صلب مسألة "المعرفة اللغوية" التي تحدث عنها نشومسكي، وهو هنا يطرح إشكالية "المعرفة اللغوية"، هل هي القدرة الفعلية على الإنجاز والأداء، أم هي شيء مستقل عن هذه القدرة ومذهبه في هذا أن المعرفة اللغوية والقدرة شيئ واحد، فالكلام حسبه من قدر عليه فهو المتكلم، ومن لم يقدر عليه فهو الأعجمي.

« إن اعتبار الكلام هو القدرة العملية عليه، جر الشهرستاني رأسا إلى إنكار "النحو الكلي"، فالكلام ليس جنسا ونوعا في نفسه ذا حقيقة عقلية كسائر المعاني، وبهذا نفهم إلحاح تشومسكي في دراسته الفلسفية على ابتداء الكلام بتحديد الفرق بين المعرفة اللغوية والقدرة، واعتبار القول بتطابقهما، والقول باختلافهما مقدمتين يلزم عليهما نظريتان مختلفتان».[2]

كما أشار الكثير من نحاة العربية وعلمائها في سياق حديثهم عن اللغة، عن علاقة اللغة بالعقل والفكر الإنسانيين، وهذا ما يدل على اعتنائهم بقضية الاكتساب والمعرفة اللغوية، فالسكاكي والآمدي وأبو البركات الأنباري والقاضي عبد الجبار وغيرهم، قالوا بأنه لا علاقة تربط بين العقل وبين المعرفة اللغوية، فيذكر القاضي عبد الجبار في مؤلفه المعني أن« العقل لا يوجد وضع اللغة أصلا».[3]

(1) أبو الفتح الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، تحق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425ه، ص323.

(2) رشيد بوزيان: الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، ج1، (مرجع سابق)، ص 50.

(3) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحق: ابراهيم الأبياري، ج16، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 353.

وذكر الآمدي أيضا أن هذه« العبارات والتقديرات غير حقيقية أي ليست أمورًا عقلية، بل اصطلاحية مختلفة باختلاف الأمصار والأمم، ولهذا لو وقع التواضع بين أهل الاصطلاح أن يكون التفاهم بنظرات وزمرات لقد كان ذلك جائزا».[1]

ويشير أبو البركات الأنباري إلى أن اللغة في أصلها وضعه وضعا نقليا لا عقليا وفي هذا يقول:« ألا ترى أن اللغة لما وضعته وضعًا نقليًا لا عقليًا لم يجز إجراء القياس فيها، واقتصر فيها على ما ورد به النقل».[2]

من جهة أخرى نجد عبد القادر الجرجاني ينحى منحى آخر يصر فيه بأن النظم يكون على الوجه الذي اقتضاه العقل، واعتبار« الخصائص التركيبية معبرة عن مبادئ العمل العقلي فنتيجة تكاد تكون صريحة في البلاغة الجرجانية التي حولت العاملية ومبادئها من كونها قوانين للعبارة إلى كونها تصويرا لما يجري في الفكر المتكلمي»[3]، وعلى هذا جاء مفهوم الفكر عند الجرجاني بقوله:« ومعلوم أن الفكر عند الإنسان يكون بأن يخبر عن شيء بشيء أو يصف شيئا بشيء، أو يضيف شيئا إلى شيء، أو يشرك شيء في حكم شيء أو يخرج شيئا من حكم قد سبق منه شيء أو يجعل وجود شيء، وعلى هذا سبيل، وهذا كله فكر في أمور معلومة معقولة زائدة على اللفظ».[4]

النحو في هذا الكلام قانون للفكر، فالعمليات والقواعد النحوية هي بالضرورة تعبير عن مبادئ العمل العقلي التي تحدث في عقل ابن اللغة، وكأنّ بالجرجاني في ذلك« يقيم نظرية حول الكيفية التي تتحول بها تلك المبادئ العقلية والفكرية إلى كائنات كلامية هي تلك التي يتخذها النحوي محورا لنظره».[5]

وعلى هذا أكد الجرجاني أن« الفائدة من معرفة الفرق بين نظم الكلمة، أنك إذا عرفته أنه ليس الغرض بنظم الكلمة أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل».[1]

---

(1) سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 100.

(2) أبو البركات الأنباري: لمع الأدلة في أصول النحو، تحق : سعيد الأفغاني، الجامعة السورية، سوريا، (د.ط)، 1956 ، ص48 .

(3) رشيد بوزيان: الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، ج1، (مرجع سايق)، ص378.

(4) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر، ط5، 2004، ص378.

(5) رشيد بوزيان: الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، ج1، (مرجع سابق)، ص55.

وهذا الربط بين اللغة أو المعرفة اللغوية وبين العقل والفكر الإنساني، هو الأساس الذي قامت عليه النظرية التوليدية التحويلية.

أما ابن خلدون فقد تحدث في مقدمته عن سبل وطرائق اكتساب اللغة، وقد كانت آرائه متقاربة جدا مع آراء تشومسكي، خاصة عندما عدّ« اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة (....)، والملكات لا تحصل بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم يتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة».[2]

ويقول في موضع آخر موضحا نظريته في اكتساب اللغة :« والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا بنفس كيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما، ولا يحكمها عمل».[3]

وهذا ما ذهب إليه تشومسكي عندما رأى أن الطفل يولد ولديه مقدرة فطرية لتعلم اللغة، أو لديه ملكة خاصة يستطيع من خلالها تعلم اللغة، وهذه القدرة تعد الأداة لاكتساب اللغة و هي موجودة عموما لدى كل إنسان، ومصطلح "الكفاية اللغوية" الذي ورد في النظرية التشومسكية عرفه ابن خلدون قبل وقت طويل من طرح تشومسكي لأفكاره اللغوية تحت اسم "ملكة اللسان"، حيث اهتم ابن خلدون في مقدمته بمصطلح "الملكة" اهتماما كبيرا، تبرزه النصوص الكثيرة التي عالج فيها مفهوم الملكة، ويبدو أن سبب اهتمام ابن خلدون بالملكة كما يبدو في نصوص المقدمة« أنه يرى أن (العلم) و(التعليم) طبيعي في (العمران البشري) وذلك لتميز الإنسان عن الحيوانات بالفكر».[4]

وقد وردت بعد ابن خلدون، في فكر العربية إشارات لمصطلح الملكة في مؤلفات علماء العربية، ومن هذه المؤلفات، كتاب "التوقيف على مهمات التعارف " للشيخ عبد الرؤوف المناوي (المتوفى 1031 ه)، وذكرها صديق بن حسن القنوجي في " أبجد العلوم " (المتوفى 1307ه).

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، (مرجع سابق)، ص374.

(2) ابن خلدون: المقدمة، (مرجع سابق)، ص 1268_1269.

(3) المرجع نفسه: ص 1276.

(4) السيد الشرقاوي: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص36.

إذن يتضح أن ابن خلدون اهتم بالملكة اللسانية من حيث أنها خاصة بكل إنسان، وتعني قدرته على تحصيل اللغة وحسن استخدامها من حيث الجودة والفساد»[1]، وعلى هذا فالنصوص السالف ذكرها تعد دليلا على انشغال علماء العربية القدامى بالمسائل المتصلة بالاكتساب اللغوي.

لقد كانت هذه المنطلقات والمبادئ المستمدة من المعتقدات العقلانية لفلاسفة القرن السابع عشر، وبخاصة أفكار الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، ونحاة مدارس بورروايال، والفيلسوف الألماني ويليام فون همبولد وغيرهم، دعامة أساسية استطاع من خلالها تشومسكي تجاوز الطروحات، والتحليلات البنيوية التي هيمنت على الدرس اللساني لفترات طويلة من الزمن، وبفضل هذا التصور العقلاني للغة، وتحليل العلاقة بينها وبين العقل الإنساني، انتقد تشومسكي بكل حرية وجرأة المنهج البنيوي التجريبي، وبخاصة السلوكي البلومفيلدي الذي تبناه العديد من اللغويين الأمريكيين، فلا شك أن يشكل تشومسكي بهذه المنطلقات "ثورة لغوية" مع الدراسات البنيوية والسلوكية، لهذا يعد تشومسكي من مسلك العقلانيين الذين يرون أن العقل البشري هو الوسيلة المثلى نحو المعرفة، وقد تعدى تفكيره في اللغة المجال اللغوي إلى مجال الفلسفة وعلم النفس ونظرية المعرفة، وقاده هذا إلى إعادة طرح مجموعة من الإشكالات المتعلقة بالقدرة المعرفية والإدراكية، والكفاءة اللغوية، التي كانت قد استأثرت باهتمام الفلاسفة والعلماء قبله من أفلاطون إلى غاليلو، ومن ديكارت إلى برتراند راسل، وهو بهذا يتناقض مع أسلافه التجريبين الذي يرون أن الوصول إلى المعرفة يتم عن طريق التجربة.

(1) نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق)، ص 152.

المبحث الثاني: قواعد وأطوار النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: المنهج التوليدي التحويلي

احتل النحو التوليدي التحويلي مكانة خاصة وبارزة بين اتجاهات ومناهج البحث اللغوي المعاصر، وهذا يعود لطرحه منهجًا جديدا ومغايرًا لدراسة الظاهرة اللغوية وتفسيرها، حيث أحدث نعوم نشومسكي "noam Chomsky" القطعية الثانية في الدراسات اللغوية بعد القطعية اللغوية التي كان قد أحدثها من قبله اللغوي فرديناد دي سوسير ferdinand de saussure (1857م-1913م) مع الدراسات التاريخية، وتتجلى القطعية التشومسكية في رفضه للكثير من المفاهيم والمناهج التي كانت سائدة في ظل الدراسات البنيوية بداية من سوسير، والسلوكية بزعامة بلومفليد.

وقبل الحديث عن "المنهج العقلي" الذي تبناه تشومسكي، وظهر واضحا جدا في كتاباته اللغوية لابد من الإشارة إلى بعض المبررات التي جعلته يرفض، وينتقد بل ويثور على المناهج التي ترعرع في ظلها فكره اللغوي، وجعلته يؤسس لمنهج جديد قادر في نظره على معرفة جوهر الظاهرة اللغوية وتفسيرها.

«لقد تخطى تشومسكي بنظريته هذه اللسانيات البنيوية التي كانت تعتمد المنهج الوصفي التنظيري»،[1] الذي كان يدعو إلى دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، و« يحظر على الباحث اللغوي أن يتدخل في قواعد لغته وقوانينها، إنما حسبه أن يصفها كما هي، فالباحث يرصد اللغة من متكلميها ليصل إلى قوانينها وقواعدها، ولا يقوم هذا المنهج على تفسير الظواهر اللغوية، ولا يعلل اتجاهاتها»[2]، فلا يكفي عند تشومسكي وصف اللغات فحسب، بل لابد أن يتجاوز الألسني مرحلة الوصف إلى مرحلة التفسير للظاهرة اللغوية، على عكس ما فعلته الدراسات البنيوية التي اكتفت بوصف اللغة شكليا، متناسية الدلالة أو المعنى، كما أنَّها« لم تحاول تحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة، ومن ثمة فهي لم تُعر أي اعتبار للكفاءة اللغوية»[3]، التي عدَّها تشومسكي أداة من أدوات اكتساب وتعلم اللغة، ومكون فطري من مكونات

(1) صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، ط3، 2009، ص79.

(2) رفعت كاظم السوداني: المنهج التوليدي التحويلي- دراسة وصفية و تاريخية منحى تطلبي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات-، دار دجلة، الأردن، ط1، 2009، ص 23-24.

(3) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة و التطور، (مرجع سابق)، ص 204.

العقل الإنساني.

كما انتقد تشومسكي الطروحات السلوكية المتعلقة بعمليتي اكتساب وتعلم اللغة، بل وعمل على تفنيذها لذلك يعد التصور العقلاني للغة الذي دعا إليه تشومسكي الموقف المضاد للتجريبية في أشكالها المختلفة، وللسلوكية بوجه خاص، حيث رفض تشومسكي« أطروحة السلوكيين القائلة بأن الإنسان يولد صفحة بيضاء tabula rasa»[1]، وأن اكتساب اللغة ليس سوى نوع من أنواع السلوك الإنساني الذي يمكن اكتسابه وفق ثنائية المثير والاستجابة، وأن العقل الإنساني ليس سوى جزء أو عضو بسيط لا علاقة له باكتساب اللغة، وهذا ما يرفضه تشومسكي تماما بل ويرى أن« الضعف الجوهري الذي تعاني منها المقاربات البنيوية السلوكية يتحدد في الاعتقاد بأنه على العقل أن يكون أكثر بساطة في بناه من الأعضاء الفيزيائية المعروفة».[2]

وعلى هذا كان تعامل البنيويين السلوكيين مع اللغة تعاملاً سلوكيًا، لا يختلف عن تعاملهم مع أنواع السلوك الأخرى التي تكتسب وفق فرضية المثير والاستجابة، وهذا ما يكسب الإنسان صفة الآلية أو الحيوانية ويلغي كل تصور عقلاني للغة، في حين رأى تشومسكي أنه ليس من الضروري دائما أن يكون للمثير الواحد استجابة واحدة، فقد تتعدد الاستجابات، كما أن« اللغة ليست دائمًا مثيرًا واستجابة، إذ من الممكن أن نتحدث في غياب المثيرات المادية الفعلية، كأن نحكي عن أشياء غائبة، أو وقعت لنا بالأمس أو ستقع غدا»[3]، وما يمكنه من هذا حسب تشومسكي هو تلك المقدرة اللغوية العقلية التي تمكنه من« إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة، فهي أداة تحول التجربة إلى نظام مكتسب من المعرفة أي إلى معرفة لغة أخرى».[4]

إن النقد الذي قدمه تشومسكي للآراء المنهجية في النظرية السلوكية المتعلقة بكيفية التعامل مع اللغة، هو في الحقيقة، تأسيس لمنهجه العقلي الذي اعتمد الوصف والتفسير، ومع هذا التأسيس تغيرت منهجية البحث

(1) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2010، ص33.

(2) Noam chomsky : le langage et la pensée. Ed.payot, paris,1970.

(نقلاً عن: يوسف مقران: الدرس المصطلحي و اللسانيات، (مرجع سابق)، ص24).

(3) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، (مرجع سابق)، ص32.

(4) نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية طبيعتها، وأصولها، واستخداماتها، (مرجع سابق)، ص 52.

في الدرس اللساني من التركيز على الوصف والاستقراء للمادة اللغوية، إلى الوصف والتفسير والإستنباط وفق منهج رياضي يعتمد الرموز الرياضية، كما أخد المسار اللغوي منحى آخر حيث ركز اهتمامه على الإنسان المتكلم المستمع المثالي، الذي يعد« موضوع الدراسة الألسنية وهو مصدر المادة اللغوية، عندما يستعمل معرفته باللغة في عملية إنتاج جملها، فالمادة اللغوية ترتبط مباشرة، بالمتكلم المستمع المثالي وبالذات، بمعرفته الضمنية بلغته»[1]، وبهذا استطاعت اللسانيات التوليدية أن« تعرج بالبحث اللساني من منهج يتوخى معطيات علم النفس السلوكي، إلى منهج عقلي همه إزاحة النقاب عن القدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، والسعي من أجل تعليله وتفسيره بدلاً من وصفه وصفًا شكليًا»[2]، وبهذا يمكننا استنتاج بعض الأمور المتعلقة بالمنهج التوليدي التحويلي:

1- أنه منهج عقلي يعطي للغة تصورًا عقلانيًا، ولا يحيد عن هذا أبدا.

2- يرتكز على الوصف، والتفسير، والاستنباط، والاستعانة بالرموز الرياضية.

3- ركز اهتمامه على المتكلم المستمع المثالي بوصفه مصدر للمادة اللغوية، وبصفة خاصة على تلك القدرة الكامنة وراء قدرة ابن اللغة على الإنتاج غير المحدود للجمل.

(1) ميشال زكريا: بحوث ألسنة عربية، (مرجع سابق)، ص 47.

(2) أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، الجزائر، 1999،ص 119.

المطلب 02: مراحل نشأة، وتطور النظرية التوليدية التحويلية

ارتبط ظهور النظرية التوليدية التحويلية بظهور كتاب تشومسكي "التراكيب النحوية" في عام 1957م، حيث أوضح فيه تشومسكي آراءه، ورؤى نظريته الجديدة التي خالفت ما كان سائدا في ظل الدراسات البنيوية والسلوكية، وهذا ما جعلها (أي نظرية تشومسكي) تتعرض إلى نقد كبير من طرف اللغويين والباحثين الذي ترعرعوا و درسوا في جو بنيوي سلوكي محض، الأمر الذي أدى بتشومسكي إلى تأليف كتاب جديد ظهر إلى الوجود في عام 1965م بعنوان " أوجه النظرية النحوية"، حيث عالج واستدرك فيه بعض القصور والنقص في كتابه الأول، واتضحت من خلاله فكرة النظرية على نحو أكثر وضوح وتطور.

وفيمايلي عرض مختصر لمراحل تطور النظرية التوليدية التحويلية، إذ مرت هذه النظرية بمراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه:

1- مرحلة البنى تركيبية: Structures syntaxiques

يمثل كتاب تشومسكي "التراكيب النحوية" المرحلة الأولى للنظرية التوليدية التحويلية، وقد اختلفت ترجمات هذه المرحلة في المؤلفات العربية، فسماها "سمير شريف استيتية" في مؤلفه (اللسانيات- المجال- الوظيفة- المنهج) "مرحلة المباني التركيبية"، وسماها "ميشال زكرياء" في مؤلفه (مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات) ب "مرحلة البنى التركيبية".

« يعتمد كتاب "البنى النحوية" التحليل بواسطة المؤلفات المباشرة، وهذا التحليل كان معمولاً به في إطار الألسنية البنائية الأمريكية (بلومفيلد، هاريس) التي تحلل الكلام من حيث الموقع والتوزيع، ووفق الفئات المؤلفة».[1]

وفي هذه المرحلة« يشير تشومسكي إلى ضرورة تقييم القواعد بأساليب تقييم، واعتماد القواعد الأكثر ملاءمة للمعطيات اللغوية، فيقارن بين ثلاث قواعد شكلية مختلفة:

- القواعد المحدودة الحالات
- القواعد الركنية

(1) ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، (مرجع سابق)، ص103.

– القواعد التحويلية»[1]

وقد اهتم تشومسكي في هذه المرحلة بتحليل اللغة إلى ثلاثة مكونات أساسية هي: المكون التركيبي، والمكون الصوتي، والمكون الدلالي، وفيما يلي شرح لهذه المكونات:

1- المكون التركيبي: Le composant syntaxique

وخاصيته أنه المكون الإبداعي الذي يساعد متكلم اللغة على توليد عدد لا نهائي من التراكيب، حيث « يولد المكون التركيبي مجموعة غير متناهية من البنى التركيبية، تحتوي على تمثيل دلالي يستمد من المكون الدلالي، وعلى تمثيل صوتي فونولوجي يستمد من المكون الفونولوجي فالمكون التركيبي هو عبارة عن جسر بين المعنى والصوت»[2]، ويتألف هذا المكون من مكونين هما:

أ- المكون الأساسي: Le **composante de base**

ويحتوي هذا المكون على مجموعة من القواعد، وعلى مجموعة من المداخل المعجمية التي تشتمل على سمات تركيبية وصوتية ودلالية،« تولد قواعد البناء مشيرًا ركنيًا يتعلق بكل جملة وتستبدل رموزه النهائية بالداخل المعجمية، فيتم الحصول هكذا، على الجملة في البنية العميقة ويخضع هذا الاستبدال لضوابط محددة تبعا لسمات المداخل المعجمية».[3]

إذن فالقواعد هنا هي قواعد إعادة الكتابة، أو إعادة بناء الكتابة، وتتمثل وظيفتها في إعادة كتابة جملة معينة على شكل مجموعة من الرموز، أي أن القواعد هنا هي من العمليات النحوية التي تحول البنية العميقة إلى بنية سطحية، وتعتبر المدرسة التوليدية التحويلية أن قواعد إعادة الكتابة في أي لغة من اللغات أنها عبارة عن، «

(1) المرجع نفسه : ص 108.

(2) المرجع نفسه: ص 31 .

(3) ميشال زكريا: الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 16.

مجموعة من القوانين التي يمكن للباحث أن يفرع مبتدئات ≠ج≠ (كرمز أولي) مختلف عناصرها في مختلف مستوياتها حتى تتولد الجملة ».[1]

وبهذا تكون وظيفة هذه القواعد هي« تفريع المستويات اللغوية السفلية من المستويات اللغوية العليا، أما وظيفة القواعد المعجمية فهي تزويد المستويات اللغوية بالمفردات، بعدما ينتهي المحلل من تطبيق القواعد المفرغة يشرع في تطبيق المعجمية لتوليد السلاسل اللغوية المحسوسة».[2]

ويظهر المخطط التالي عمل المكون التركيبي:[3]

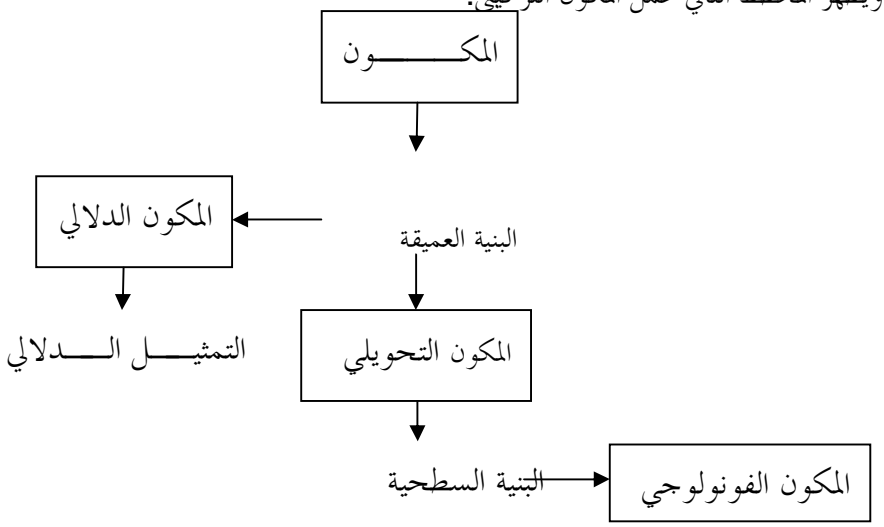

ب_ المكون التحويلي:

« ويحتوي هذا المكون على مجموعة التحويلات التي يبدل كل منها مشيرا ركنيا، بمشير ركني آخر والتي تخضع إلى ضوابط بعضها كلية وبعضها الآخر خاص بكل لغة»[4]، ويشمل هذا المكون على تحويلات وجوبية، وأخرى إختيارية و يأخذ كل تحويل ترتيبه بين التحويلات.

رسم توضيحي لعمل المكون التحويلي

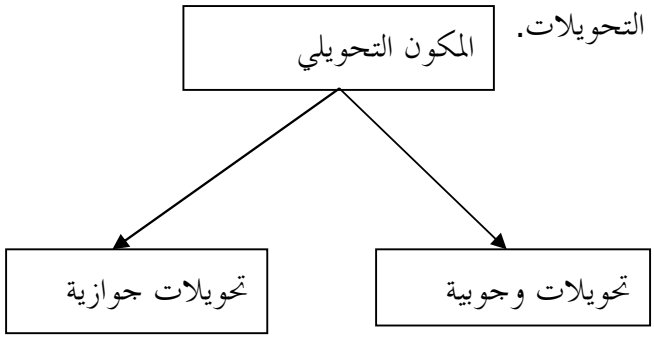

(1) التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، (مرجع سابق)، ص66.
(2) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
(3) ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، (مرجع سابق)، ص 17.
(4) المرجع نفسه: ص16.

وعلى هذا لابد من التمييز بين التحويلات الوجوبية« التي يجب تطبيقها ونتيجتها الجملة النواة (مثبتة وحديثة وتصريحية وبسيطة)»[1]، والتحويلات الاختيارية التي تولد الجمل المشتقة التي تكون عكس الجملة النواة ،أي تكون منفية أو إستفهامية،أو مركبة ...إلخ.

2- المكون الصوتي : Le composant phonologique

ويقوم هذا المكون على« المباني الصرفية المختلفة باعتبار التأثيرات الصوتية في تكوينها»[2]، وهو يشتمل على« مجموعة من القواعد الفونولوجية التي تقوم باشتقاق التغيير الصوتي لكل جملة انطلاقا من بنيتها السطحية».[3]

وعلى هذا يكون المكون الصوتي هو المكون المسؤول عن تخصيص كل تركيب لغوي بتتابع فونيتيكي معين، انطلاقًا من قواعد معينة.

3- المكون الدلالي: Le composant semantique

وهو المسؤول عن إعطاء التفسير الدلالي للبنى العميقة، حيث يقوم هذا المكون« بتخصيص معنى شامل لكل تركيب، انطلاقًا من الدلالات الفردية للمورفمات (morpheme) التي تؤلف (...)، ويتناول هذا المكون التراكيب التي يولدها المكون التركيبي، ويخص كل منها بتمثيل دلالي».[4]

(1) كاثرين فوك، بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1984، ص 89.

(2) سمير شريف إستيتية: اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2005، ص182.

(3) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص232.

(4) ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، (مرجع سابق)، ص31.

2/ مرحلة النظرية المعيارية: La théorie stondard

تعد هذه المرحلة المرحلة الثانية في نظرية تشومسكي، وتبدأ هذه المرحلة بظهور كتابه "مظاهر النظرية التركيبية "aspects de la théorie syntaxsique"،« وقد جسد فيها تشومسكي أفكاره التوليدية التحويلية التي باتت سطحية جدا في مشروعه الأول (البنى التركيبية)»[1] ، وأهم الأفكار التي طورها تشومسكي في هذه المرحلة هي:

- التمييز بين الملكة والتأدية.
- التمييز بين البنية العميقة والسطحية.
- التمييز بين الجملة النحوية وغير النحوية.

_ التمييز بين أصولية الجملة ومفهوم تقبل الجملة،

_ إدراج المكون الدلالي في القواعد.

_ إدراج المعجمي المكون الأساسي.

كما أكدَّ تشومسكي في هذه المرحلة على« دور المعنى في الدرس اللغوي، وارتباطه بالتراكيب والأصوات، ونجده يفصل بين التركيب الداخلي الذي يضم كل المعلومات النحوية ذات الصلة بالتفسير الدلالي، والتركيب الخارجي الذي يشمل على المعلومات النحوية ذات الصلة بالتفسير الصوتي»[2]، والسبب الرئيسي وراء تفجير المرحلة المعيارية « يكمن أساسا فيما قدمه اللسانيون عام 1964 مثل كاتز (katz) ووفودور (fodor) من آراء تدعو إلى ضرورة توسيع وإثراء المكون التركيبي الإبداعي بالقواعد الدلالية»[3]، وكذا ضرورة إضافة معجم يحتوي كافة العناصر والصفات الدلالية (les traits semantique) والنحوية (les traits syntascique)، التي تقدم التفسير الدلالي للجملة (son interpretation semantique) بفضل قواعد تدعى قواعد الإسقاط (les regies de progections)، التي تمزج

(1) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق)، ص 75.

(2) زكي كريم حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ط3، 1993 ، ص66-67.

(3) ينظر، مازن الوعر: نحو نظرية لسانية حديثة وواقعية لتحليل التراكب الأساسية في اللغة العربية، وزارة الثقافة واللارشاد القومي، الجمهورية السورية، ع266، 1944، ص99.67.

دلالة كل وحدة معجمية (Une unité lescicale) موجودة في مستوى المؤشر النسقي القاعدي (L'indicateur sytagmatique de base) إلى أن يتوصل إلى الدلالة النهائية للجملة المنتجة.[1]

لقد كانت هذه الاقتراحات الجديدة التي قدمها تشومسكي بمثابة محاولة جديدة لتوسيع أنموذجه الأول نحو أنموذج معياري يهتم أكثر بالمكون الدلالي.

3/ مرحلة النظرية المعيارية الموسعة la théorie standard étendue:

تعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة المعيارية، حيث عدل تشومسكي نظريته المعيارية إلى المعيارية الموسعة في محاولة لإبراز الدلالة المعجمية، وقد« ظهرت هذه النظرية في صيغتها في عام 1970 م في مقال تشومسكي (البنية العميقة و البنية السطحية و التمثيل الدلالي) إلى صيغتها التي ظهرت عام 1976 م في كتبه (نظرات في اللغة) »[2]، وقد وضع تشومسكي في هذه المرحلة فرضيتين هما:

1- « الفرضية المعجمية القائمة على اعتبار معاني المفردات الأصلية و كل ما اشتق منها.
2- الفرضية التفسيرية القائمة على اعتبار رؤية المتكلم من تركيز و قصد و اهتمام أو نقيض ذلك».[3]

وفي هذه المرحلة يشتمل النحو على ثلاث قواعد هي:

- « قواعد تركيبية وهي تحدد كيفية تكوين الجمل.
- قواعد دلالية تحدد كيفية فهم الجمل.
- قواعد صوتية تحدد كيفية نطق الجمل.» [4]

(1) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس المعاصرة، (مرجع سابق)، ص76.
(2) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، (مرجع سابق)، ص 99.
(3) سمير شريف إستيتية: اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، (مرجع سابق)، ص 184.
(4) اسحاق الآمين: دليل الطالب إلى النحو التحويلي _مختصر شروح رادفورد على نظرية تشومسكي المعيارية الموسعة_، مطابع الظفرة، أبوظبي، (د.ط)، (د.ط)، ص 54.

4/ مرحلة المنهج النحوي الدلالي:

يركز هذا المنهج على« المعطيات الدلالية التي تقدمها التراكيب، ومن هذه التراكيب من هم عمدة (ركن أساسي) كالمبتدأ، والفاعل، والمفعول به، ومنها ما هو فضلة، كالزمان والمكان و الهيئة وغير ذلك» [1]، ويتألف هذا النموذج الدلالي الجديد من أربع تراكيب دلالية وهي:

1- « التركيب الوظيفي: الذي يمثل العلاقات الدلالية بين الأركان اللغوية في التركيب الأساسي، كالعلاقات الدلالية بين المبتدأ و أدواره (المكان، ابتداء الغاية، الخبر.....إلخ).

2- التركيب السياقي الموضح: وهو الذي يحدد السياقات الدلالية المختلفة مثل: التطابق والتبعية، والربط، والمجاز.

3- التركيب التطابقي: الذي يبين ما إذا كان في التركيب ركنان لغويان اثنان يعودان على بعضهما بعضا من حيث الربط الإحالي.

4- تركيب العناية والاهتمام والتقديم: وهو الذي يدل على المعلومات الجديدة والقديمة في التركيب الأساسي.»[2]

وهذه التراكيب هي التي تعطي التقييم الدلالي للأركان اللغوية في كل تركيب.

5- مرحلة المنهج الدلالي التصنيفي:

يهدف المنهج الدلالي التصنيفي إلى« وصف المضمون الدلالي للتركيب و الواقع إن المنهج الدلالي التصنيفي أعمق من المنهج المعياري الموسع، من الناحية الدلالية وذلك لأن الظاهرة الدلالية من وجهة نظم أصحاب هذا المنهج هي أعمق وأدق من البنية العميقة في المنهج المعياري الموسع».[3]

(1) سمير شريف إستيتية: اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، (مرجع سابق)، ص 184.

(2) ينظر: الصديق آدم بركات آدم، النظرية التحويلية التوليدية وتطبيقاتها على النحو العربي (الرتبة أنموذجا)، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، الخرطوم، السودان، 2010، ص 95.

(3) مازن الوعر: دراسات لسانية تصنيفية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الترجمة، ط1، 1989، ص75.

6/مرحلة منهج الربط العاملي:

أخرج تشومسكي هذا النموذج في عام 1981م ، ويعد تطورًا بارزًا في نظريته وقد أقام« منهجه هذا على مجموعة من التصورات النظرية، وسمى كل تصور منها theory ، وليس المقصود أن كل واحد من هذه التصورات نظرية مستقلة إنما يقصد بكلمة theory، وهو يصف بها كل تصور "فكرة أوفرضية"»[1]، ونظرية العامل تمثل ذروة ما توصلت إليه النظرية من اكتمال.

المطلب الثاني: المفاهيم الأساسية في النحو التوليدي التحويلي

طرح تشومسكي من خلال نظريته الألسنة مفاهيم لغوية جديدة تتماشى وفلسفته العقلية، وتختلف اختلافًا كليًا مع التصورات السلوكية للغة، فمفهوم اللغة والنحو والتوليد والتحويل وغيرها من المصطلحات النظرية في النحو التوليدي التحويلي مفاهيم أخذت طابعًا عقلانيًا، وفي هذا الإطار العقلاني العام اندرجت النظرية التوليدية التحويلية، وفيما يلي عرض لأهم المفاهيم النظرية في النحو التوليدي التحويلي.

1- مفهوم اللغة: le langage

إن المفاهيم اللغوية التي طرحها تشومسكي أثناء حديثه عن اللغة مفاهيم تتناقض تماما مع آراء أسلافه السلوكيين، حيث عدها السلوكيون مجموعة من العادات الكلامية التي تكتسب كغيرها من العادات وفق ثنائية المثير والإستجابة[2]،« فمتكلم اللغة يسمع جملة معينة أو يشعر بشعور معين فيحصل عنه استجابة كلامية دون أن ترتبط هذه الإستجابة بأي شكل من أشكال التفكير، فالإستجابة الكلامية مرتبطة بالمثير ولاتتطلب تدخل الأفكار أو القواعد النحوية»[3]، وهذا التصور السلوكي للغة والذي يجعلها نوعا من الإستجابة لمثير معين، يقضي بفصل نهائي بين اللغة والعقل الإنساني وينفي وجود علاقة بينهما وهذا ما يرفضه تشومسكي، بل

(1) سمير شريف إستيتية: اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، (مرجع سابق)، ص 159.
(2) يظهر هذا واضحًا عند سكينر = من أشهر علماء المدرسة السلوكية ، ومن أهم كتبه "السلوك الكلامي".
(3) ميشال زكريا: مباحث من النظرية الألسنية وتعليم اللغة، (مرجع سابق)، ص144.

ويؤكد أنَّه، « لاوجود للغة خارج إطار تصورها العقلي، ومهما تكن خصائصها فهي تختص بها عبر المسار العقلي الفطري للجهاز العضوي الذي أوجدها ويوجدها في كل جيل، والذي يوجد منها في الوقت نفسه الخصائص المتعلقة بشروط استعمالها ويبدو لنا أن اللغة مفيدة لسير المسار العقلي واكتشاف نظامه».[1]

إن هذا التصور العقلاني للغة يقضي بوجود علاقة وثيقة جدا بين اللغة وبين العقل الإنساني، كما يفترض وجود قدرة فطرية، أو استعداد فطري لدى الإنسان يمكنه من اكتساب لغته ودراسة اللغة وفق هذا التصور يساهم في تحليل وفهم المسار العقلي و اكتشاف نظامه وقواعده، وربط اللغة بالعقل الإنساني هو في الحقيقة ربط بين اللغة والجنس البشري، بل إن هذا الربط بينهما يجعل من اللغة خاصية إنسانية محضة، وينفي عن الإنسان صفة الحيوانية أو الآلية التي اكتسبها في ظل التصور السلوكي لغة، وهذا ما أراده تشومسكي حيث قال:« اللغة واحدة من الخصائص المقصورة على النوع الإنساني في مكوناتها الأساسية، هي جزء من إعدادنا الإحيائي المشترك shared biological endowmont مع استثناء من يصاب بعيب عضوي شديد، يضاف إلى ذلك أن اللغة تدخل بطريقة جوهرية في العقل و الفكر و العلاقات الاجتماعية».[2]

فاللغة إذن حسب تصور تشومسكي مرتبطة بل ومقصورة على الإنسان إذ بها يمتاز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وهي جزء بيولوجي فطري مرتبط بالعقل البشري تؤدي وظيفة تواصلية في العلاقات الاجتماعية، وهي« خاصية رئيسية للفهم و الفكر الإنسانيين» وهي أيضا تمظهر للمقدرة اللغوية الإنسانية التي هي بالذات مكون من مكونات المعرفة الإنسانية، لذلك تنظر هذه النظرية إلى اللغة على أنها نتاج عقلي خاص بالجنس الإنساني ومكون من مكونات العقل الإنساني، وبالتالي لا يمكن اعتبار اللغة عادات كلامية مكتسبة كما هو الحال في المفهوم السلوكي للاكتساب».[3]

ويقدم تشومسكي مفهوم آخر للغة و يتعلق هذا المفهوم بالجانب التوليدي الموجود في كل اللغات، إذ يرى أن« أي لغة تتكون من عدد محدود من الفونيمات، ومن حروف الهجاء مكتوبة كانت أم منطوقة و كل

(1)N .chomsky.le langague et la pensée.p

(2) نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية طبيعتها، وأصولها، واستخداماتها، (مرجع سابق)، ص 44.

(3) ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، (مرجع سابق)، ص150.

جملة تمثل عددا محدودا من تلك الفونيمات والحروف، ومع ذلك تنتج تلك الفونيمات والحروف عددا غير محدود من الجمل».[1]

يشير هذا المفهوم إلى الجانب التوليدي الموجود في كل اللغات وعلى هذا يعد تشومسكي اللغة مجموعة من أصوات متناهية، ومحدودة لكنها ومع هذا تنتج عددا لا نهائيا من الجمل، وهذه القدرة على التوليد خاصية مشتركة بين جميع اللغات.

« إن المهم في تحليل اللغة في تصور النحو التوليدي ليس هو الجانب السلوكي الظاهر الذي لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يقدم صورة حقيقية عن السلوك اللغوي مهما كانت دقة التحليل و موضوعيته، و لكن المهم هو البحث في العمليات الذهنية الضمنية المتبعة في اكتساب اللغة، و تعلمها و استعمالها».[2]

ومن خلال هذه المفاهيم التي طرحها تشومسكي نستنتج بعض النتائج ما يلي:

1- اللغة مكونة من مكونات العقل الإنساني، و نتاج خاص به.
2- اللغة خاصية إنسانية تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات.
3- اللغة مجموعة متناهية من الجمل و التراكيب اللغوية.
4- اللغة أصوات تمثل دلالات معينة.
5- اللغة عملية إبداعية متجددة.

2- مفهوم النحو:Grammaire

تجاوز النحو التشومسكي المفهوم التقليدي المدرسي للنحو، الذي كان يركز على تحديد المعايير التي تمكن متكلم لغة من استعمال لغته الأمّ بشكل سليم، ويقدم أحكاما على صحة لغة ما أو فسادها، ولا يعمد إلى تفسير تلك القدرة الكامنة وراء قدرة متكلم اللغة –ابن اللغة- على إنتاج عدد هائل من الجمل بصرف النظر عن كونه قد سمعها أو لم يسمعها من قبل.

(1) N.chomsky: syntatic structres ,the hyge mauton and co.1957. p13.
(نقلاً عن: أحمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر (د.ط)، 1985، ص 38).
(2) مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ إسماعيلي: اللسانيات التوليدية من الأنموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، (مرجع سابق)، ص10.

وقد ارتبط المنهج التوليدي منذ نشأته بالنحو، والنحو عند تشومسكي كما ورد في كتابه "البنى التركيبية" بأنه:« جهاز (device) لتوليد الجمل النحوي في اللغة»[1]، وليس المقصود من "جهاز" في هذا المقام أن النحو جهاز الكتروني أو آلي يفحص سلوك المتكلم عندما يتلفظ بالجمل، وإنَّما يتحرك هذا الجهاز« من خلال عدد غير محدود Finite unmber من الحالات الداخلية Internal Staes التي تبدأ من الحالة الأولى initial state أي منذ البداية start حتى الحالة النهائية Final stute أي النهاية stop، وذلك أثناء عمل هذه الآلة على توليد الجمل».[2]

ومعنى هذا أن النحو هنا هو عبارة عن "جهاز" يستطيع أن يولد لنا عددا لا متناه من الجمل بناء على اختيار الكلمة الأولى، ومن ثم تتوالى سلسلة من الاختيارات بناء على الاختيار الأول، ومن خلال هذه الاختيارات نستطيع أن نوسع في الجملة بإضافة عناصر لغوية أخرى لتوليد جمل أخرى، كأن نقول:

* (هذه الطالبة المجتهدة تعتني بكتبها)، فبناء على الاختيار الأول توالت العناصر اللغوية التي أتت بعده، وإذا أردنا أن نوسع في الجملة نقول: (هذه الطالبة المجتهدة الكثيرة القراءة والبحث تعتني بكتبها وتحرص على الاحتفاظ بها).

وتجدر الإشارة غلى أن تشومسكي قد استعمل مصطلح "جهاز"، لأنَّ فرع الرياضيات الذي اعتمده لشكلنة نحوه يستعمل هذه المصطلحات بطريقة تجريدية.

والاختلاف الجوهري بين المفهوم التقليدي للنحو، والمفهوم التشومسكي يكمن في عدّ تشومسكي النحو« نظام من القواعد التي تقدم وصفًا تركيبيًا للجمل بطريقة واضحة، وأكثر تحديدا (...) وكل متكلم لغة، يكون قد استعملها واستنبط نحوًا توليديًا، وهذا لا يعني أنه على وعي بالقواعد الباطنية التي يكون قد استعملها أو سيكون على وعي بها»[3]، بمعنى أن نحو أي لغة هو المعرفة الضمنية بالقواعد الموجودة في ذهن متكلم اللغة معرفة لا واعية، هذه القواعد هي التي تسمح له بإنتاج عدد غير محدود من التراكيب اللغوية، وهذا

(1) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص 208.

(2) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوي، تر: حلمي خليل، (مرجع سابق)، ص 107-108.

(3) N.Chomsky: Aspects de la théorie syntascique, traduit de l'analyse par Jean-claude Milner, édition de seuil, 1971, p 19. (نقلاً عن: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق)، ص 41)

يختلف مع مفهوم النحو عند البنيويين الأوربيين من جهة، والبنيويين الأمريكيين السلوكيين من جهة أخرى، وقد حدد تشومسكي هدف النحو في أنّه« ينظر في جميع الجمل النحوية وفيها دون غيرها، فما هو شكل النحو؟ هو تشكل توليدي، ويقصد من ذلك أن المعطيات التركيبية يمكن وصفها بفضل رؤية بديهية، ونظام من القواعد».[1]

فالنحو انطلاقا من المفهوم التشومسكي موجود في دماغ وذهن متكلم اللغة،« واللغوي لا يدرس المادة الصوتية الفعلية أو الدلالية، ولا يبني مفاهيمه انطلاقا منها، بل إنّه يدرس القواعد الممثلة ذهنيا، والتمثيلات التي تولدها هذه القواعد».[2]

نتائج عامة عن مفهوم "النحو" في النظرية التوليدية التحويلية:

- النحو "جهاز" عقلي يتم من خلاله إنتاج عدد لا نهائي من التراكيب اللغوية.

_ النحو "نظام" من القواعد الضمنية الكامنة في ذهن متكلم اللغة.

- النحو "معرفة" لا واعية بقواعد لغة ما، يستطيع متكلم اللغة من خلالها إنتاج جمل جديدة لم يسمعها من قبل.

3_مفهوم الجملة La Phrase:

أخذت الجملة أبعادًا تحليلية مختلفة في الدرس اللساني الحديث، حيث تعددت الرؤى والدراسات حولها، كلّ بحسب المنطلقات والأهداف والمناهج، وقد عالج التحليل البنيوي السلوكي وخاصة مع "بلومفيلد" وتلميذه "هاريس" الجملة من جانب تحليلها إلى مكوناتها النحوية المباشرة والمكونات النهائية، وهذا التحليل البنيوي « يبدأ بالجسم الأكبر ثم يندرج إلى أسفل منها بالمكونات الصغرى التي لا تقبل التقسيم أو التحليل ما أخذ عليه

(1) كاثرين فوك، بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف بن عاشور، (مرجع سابق)، 77.
(2) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 46.

عدم تفرقته في "تحليله الجملي" بين الجملة المبنية للمجهول، والجملة المبنية للمعلوم، فتحليلها في نهاة المطاف تحليل واحد»[1]، وهذا ما يؤكد احتفاء التحليل البنيوي بالمبنى وتغاضيه عن المعنى.

ولقد أخذ تشومسكي على هذا التحليل البنيوي السلوكي للجملة أشياء كثيرة منها، عدم تفرقة هذا التحليل بين الجمل الصحيحة نحويا ودلاليا (المعنى + المبنى)، وبين جمل أخرى خاطئة نحويا أو دلاليا، أو صحيحة نحويا وخاطئة دلاليا، فمثلا جملة: دخل الطفل إلى البيت، وجملة دخل الحائط إلى البيت تحليلهما البنيوي التوزيعي واحد، وكلاهما صحيح نحويا، مع أن الجملة الثانية خاطئة دلاليا.

لكن أهم نقد قدمه تشومسكي للطرح البنيوي التحليلي للجملة، هو إخفاق هذا التحليل في الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل متكلم اللغة –أي لغة من اللغات- يؤلف عددًا لا متناه من الجمل، وفقًا لقواعد محدودة؟، وعدم إجابة الطرح البنيوي على هذا السؤال يؤكد إهماله للجانب الإبداعي للغة، وهذا ما يرفضه تشومسكي تماما، ويؤكد أن متكلم اللغة قادر على إنتاج عدد لا متناه من الجمل المختلفة، وهذه الجمل قد تكون جملا أصولية، وقد تكون جملا غير أصولية، وعدّ الأولى جملا صحيحة توافق الأصول اللغوية، في حين عدّ الثانية جملًا خاطئة لا توافق الأصول اللغوية، وهو ما أطلق عليه الجمل النحوية (grammatical) وتكون هذه الجمل مطابقة للقاعدة النحوية، والجمل غير النحوية (non grammatical) ويكون هذا النوع خارج عن القاعدة النحوية، والذي يحدد صحة الجمل من خطئها هو الحدس اللغوي الذي يتمتع بهم متلكم اللغة.

وبهذا تكون الجمل الأصولية هي« الجمل المبنية على نحو جيد موافق لقواعد اللغة القائمة ضمن الكفاءة اللغوية لمتكلم اللغة، أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم، والتي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية حين ينتج جملة»[2]، في حين تكون الجمل غير الأصولية جملا منحرفة عن هذه القواعد التي تحدد أصولية الجملة ونحويتها، ولذا اهتم النحو التوليدي التحليلي بالتمييز بين الجمل النحوية، والجمل غير النحوية، وعلى هذا تكون الجملة عند تشومسكي نوعان:

(1) إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط2، 2007، ص 83.
(2) ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، (مرجع سابق)، ص 49.

1- **جملة نحوية:** وهي الجمل الصحيحة التي ينتجها متكلم اللغة انطلاقا من القواعد اللغوية الضمنية الموجودة في ذهنه.

2- **جمل غير نحوية:** وهي الجمل المنحرفة عن القواعد، وهذا النوع من الجمل لا بد من إخراجه من المجال اللغوي.

وتجدر الإشارة أن النظرية التوليدية التحويلية لم تهتم فقط بالتمييز بين ما هو نحوي وما هو غير نحوي، وطرد الأخير من مجالها، بل سعت إلى تصحيح ما يصدر من الجمل غير النحوية انطلاقا من قواعد اللغة، ولا بد من التفريق بين مفهوم النحوية (gratmmaticalité)la) وبين الصحيح المعنى (La Significative)، «فالأول جزء من ملكة المتكلم، وأما الثاني أي الصحيح المعنى فهو مرتبط بالتأدية»[1]، ففي جملة الفئران تأكل الجدران مثلاً، تعد هذه الجملة جملة صحيحة، نحوية، وهذه النحوية مرتبطة بالكفاءة اللغوية عند من نطق بهذه الجملة، أمَّا دلاليا فتعد خاطئة، لأنَّه ليس من المعقول أن تأكل الفئران الجدران.

4_التوليد والتحويل Gnération et Transformation:

تقوم نظرية تشومسكي على مبدأين هامين جدا، يعدان حجر الأساس في هذه النظرية، وهما مبدأ التوليد Génération، ومبدأ التحويل Transformation، وهذان المبدآن حسب تشومسكي لهما وجود في كل اللغات الإنسانية، أما التوليد فيرتبط بالجانب الإبداعي في اللغة، وأول خاصية تميز التوليد أنَّه« عملية إبداعية تميز الإنسان»[2]، وهو« انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب من جملة هي الأصل، وتسمى الجمل الأصل بالجملة التوليدية Generative sentence، وأهم وصف للجملة التوليدية أنها الجملة التي تؤدي معنى مفيدا، مع كونها أقل عدد ممكن من الكلمات، ومع كونها أيضا خالية من كل ضروب التحويل»[3]، وحتى يتضح الأمر نأخذ مثلاً جملة معينة كأن نقول: "جاءت آسيا" هذه جملة توليدية، وأما جملة "آسيا جاءت"، فليست جملة توليدية، لأن فيها تقديما وتأخيرا، وإذا افترضنا أن جملة "آسيا جاءت" اسمية، لم تكن

(1) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق)، ص 50.

(2) N.chomsky: le langage et la pensée, traduit par louis jean caviet, édition payot, 1969, p 33. (ترجمة فردية)

(3) سمير شريف إستيتية: اللسانيات المجال، الوظيفة، المنهج، (مرجع سابق)، ص 178.

توليدية أيضًا لأنَّها لا تتكون من أقل عدد ممكن من الكلمات، لأنها جملة مركبة من جملتين جمل المبتدأ والخبر، والجملة الفعلية "جاءت هي".

وعلى هذا يعد "التوليد" من بين أهم المصطلحات والمفاهيم التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي وتميز بها، ويقصد به« القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحدود من القواعد في كل لغة وفهمها، ثم تمييزها عما هو غير سليم نحويا».[1]

إذن يتربط مفهوم التوليد بمفهوم الإبداعية التي تعد خاصية إنسانية تمكن الإنسان من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل، انطلاقا من قواعد محدودة« ويسمى كل نحو نحوًا توليديًا حال ما تُصاغ قواعده صياغة صحيحة، فتكون قادرة على توليد عدد لا نهائي من الجمل الممكنة بصورة آلية، وذلك انطلاقا من عدد محدود من الوحدات والآليات البسيطة عبر اخضاعها لتحويلات مختلفة (transformation)»[2]، وبهذا يتحدد مفهوم التوليد بكونه استنباط لتركيب لغوي من تركيب لغوي آخر، وفق ما يسميه تشومسكي "قواعد إعادة التركيب"، وامتلاك ابن اللغة لهذه القواعد يجعله قادرا على إنتاج عدد غير متناه من الجمل، فنحصل على اللامتناهي من المتناهي.

أمَّا التحويل فيعد آلية من الآليات التي اعتمدها تشومسكي أثناء دراسته للغة، وقد أخذ تشومسكي منهج التحويل عن أستاذه هاريس –كما ذكر من قبل-« وملخص مبدأ التحويل عند تشومسكي أن أهل اللغة قادرون على تحويل الجملة الواحدة إلى عدد كبير من الجمل»[3]، فإذا أخذنا جملة: أنشد تلاميذ المدرسة النشيد الوطني، وأجرينا عليها تحويلات انتهينا إلى اشتقاق جمل كثيرة وهي:

_ أُنشد النشيد الوطني (بالبناء للمجهول والحذف).

- النشيد الوطني أنشد من طرف تلاميذ المدرسة (بالتقديم والتأخير والزيادة).

(1) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (مرجع سابق)، ص 41-42.

(2) ماري نوال، غاري بريول: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، (د.د)، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007، ص 57.

(3) سمير شريف إستيتية: اللسانيات المجال، الوظيفية، المنهج، (مرجع سابق)، ص 89.

- التلاميذ أنشدُوا النشيد الوطني (بالتقديم والتأخير والحذف).

- أَنْشَد التلاميذ النشيد الوطني (بحذف كلمة المدرسة).

وهنا يكون التحويل بابا مفتوحًا على النفي، والتأكيد، والبناء للمجهول، والعطف، والزيادة، والحذف، والتقديم، والتأخير، ومحاولة الوصول إلى العلاقة الموجودة بين الجمل المتحولة عن الجملة الأولى وتفسيرها، قائم على مفهوم التحويل، ولعل أهم وظيفة يعنى بها التحويل هي ربط البنية العميقة بالبنية السطحية، أي« الخروج من الذهن المجرد إلى المنطوق (أي خروج الجملة)، فما دامت في الذهن فهي توليدية، فإذا خرجت فإنها تصبح تحويلية».[1]

والتحويلات الواقعة في اللغة على نوعين:

1- **التحويلات الوجوبية:** وهي« التي يجب تطبيقها ونتيجتها الجملة النواة»[2]، ولا بد أن تتوافر في هذا النوع من الجمل صفات أربع:

- أن تكون جملة بسيطة simple غير مركبة.
- أن تكون جملة مبنية للمعلوم active لا مبنية للمجهول.
- أن تكون مثبتة affirmative لا منفية.
- أن تكون تقريرية Determinate لا إنشائية.

2- **التحويلات غير الوجوبية:** وهي التي تولد الجمل المشتقة، والجملة المشتقة هي الجملة التي تنعدم فيها الخصائص الأربع للجملة النواة وهي الجملة المنفية أو الاستفهامية أو المركبة...إلخ.

5_البنية السطحية والبنية العميقة surface structure et deep structure:

(1) عاطف فضل: مقدمة في اللسانيات للطالب الجامعي، دار الرازي، عمان، ط1، 2005، ص 86.

(2) كاثرين فوك، بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر:عبد القادر فهيم الشيباني، (مرجع سابق)، ص 77.

ظهر هذين المصطلحين[*] بشكل جلي في كتاب تشومسكي "مظاهر النظرية التركيبية"، أي في الطور الثاني من نظريته، وقد كان هدفه من وضع هذين المصطلحين في نظريته تيسير دراسة اللغة من جانبها المنطوق والمكتوب،« وينبع تفريق تشومسكي بين البنية السطحية والبنية العميقة من فلسفته العقلانية الديكارتية عامة، ومن خلال نظرته إلى الإنسان بوصفه مخلوقًا بشريًا يختلف عن سائر المخلوقات الأخرى، ويتميز عنها بميزات كثيرة من أهمها اللغة والذكاء والقدرة على التفكير».[1]

وحسب تشومسكي فلكل جملة بنية عميقة، وأخرى سطحية،« وتمثل البنية العميقة الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن (...)، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي[2]، أي أنّها شكل تجريدي موجود في ذهن متكلم اللغة، يعكس الأفكار الموجودة في ذهنه، وهذه البنية هي نواة للبنية السطحية، وهي التي تحدد طبيعتها لأنها تتكون من العلاقات النحوية التي تحدد معنى الجمل، وقد تأتي البنية السطحية للجملة الواحدة متضمنة أكثر من بنية عميقة، فجملة « "الله غير المنظور خلق العالم المنظور" مثلاً، لها بنية ظاهرة (أو سطحية) متمثلة في صورتها اللغوي التي هي عليها الآن وهي -في الوقت نفسه- تتضمن ثلاث جمل أخرى:

1- الله خلق العالم (وهي الجملة النواة، أو الجملة الأساس).
2- الله غير منظور.
3- العالم منظور.

وهاتان الجملتان (2 و 3) تم دمجهما في الجملة الأساس وفق القاعدة التحويلية التي تسمح -في العربية على الأقل – بتحول (خبر المبتدأ) إلى (صفة) له، مع تحقيق شرط التطابق في مقولة (التعيّن=التنكير والتعريف)، فكأن الجملة (أ) متحولة، أو متولدة عن هذه الجمل الثلاث وفق قواعد تحويلية معينة».[3]

(*) أول من استعمل مصطلحي البنية السطحية (surface structure) والبنية العميقة (structure deep) هو تشالز هوكيت Charles Hockett في مؤلفه الشهير "محاضرة في اللسانيات الحديثة"=(أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص 212).

(1) عبد العزيز العصيلي: النظريات اللغوية والنفسية، وتعليم اللغة العربية، مطابع التقنية للأوفست، الرياض، السعودية، (د.ط)، 1999، ص73.

(2)إ براهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، (مرجع سابق)، ص 95.

(3) محي الدين محسب: انفتاح النسق اللساني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 111.

أمَّا البنية السطحية surface structure فتُمثل« الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل؛ أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز»[1]، أي أنَّها تركيب تسلسلي مادي سطحي للجمل المحولة من البنية العميقة، وهذا التحول قد يكون منطوقًا كما قد يكون مكتوبًا، يعبر عن الأفكار الموجودة في ذهن المتكلم، والذي نتج عن طريق إتباع قواعد تحويلية محددة، وتجدر الإشارة إلى أن البنية العميقة تكون واحد في الجملة، ولكن قد تتعدد البنية السطحية وذلك حسب ما يقتضيه المعنى المراد، وهذا يدل على وجود اختلافات بين البنيتين، أهمها أن البنية التحتية (العميقة) تتقارب عند أغلب المتكلمين، بينما تختلف البنية السطحية من متكلم إلى آخر، وفيما يلي استنتاجات عامة عن كلا البنيتين.

نتائج عامة:

- تعد البنية العميقة في هذه النظرية حقيقة ذهنية، وهذا يرجع إلى الفلسفة العقلانية التي قامت عليها نظرية تشومسكي.

- البنية العميقة نواة للبنية السطحية، وهي البنية التي يمكن أن تُحول بواسطة قواعد التحويل إلى بنى سطحية.

- تمثل البنية العميقة التفسير الدلالي للجمل.

- تعد البنية العميقة البنية التي تحول بواسطة قواعد تحويلية إلى بنى سطحية.

- القواعد التي تحكم البنية العميقة هي قواعد ذات صبغة عالمية، لهذا فهي متشابهة بين جميع لغات العالم.

- تمثل البنية السطحية الجمل كما هي في الاستعمال.

- البنية السطحية شكل فونيتيكي وتتابع صوتي.

- تمثل البنية السطحية الجانب المنطوق أو المكتوب للجمل.

(1) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص 212.

- تختلف البنية السطحية وتتعدد من متكلم إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

- تنتج البنية السطحية عن طريق إتباع مجموعة من التحويلات التي تنطلق من الجمل النواة في الذهن، وهي البنية العميقة.

- البنية السطحية انعكاس للبنية العميقة.

6_الحدس: Intiution

أطلق مصطلح "الحدس" في النحو التوليدي التحويلي، على تلك المقدرة التي تسمح لمتكلم اللغة على التمييز بين الجمل والتراكيب اللغوية الصحيحة، وبين الفاسدة منها، وحسب تشومسكي فإنَّ« اللساني وصاحب اللغة يتمتعان بقدرة لغوية تتمثل في الحدس Intiution تمكنهما من معرفة الجمل من حيث استعمالها واستقامتها، ومن هنا ذهب في مؤلفه "البنى التركيبية" إلى أن الجمل التي يولدها النحو لا بد أن تكون مقبولة من قبل صاحب اللغة».[1]

وعلى هذا يعد حدس ابن اللغة وعالم اللسانيات دليلاً أو حكمًا على صحة التراكيب اللغوية التي ينتجها أو يسمعها، وحسب تشومسكي لا بد أن تكون التراكيب التي ينتجها ابن اللغة صحيحة ومقبولة،« والطريقة الصحيحة لفحص المعرفة اللغوية عند ابن اللغة هي أن تسأله عن أحكام جمل من لغته، ولا يعني هذا أن تسأله بطريقة مباشرة (...)، وإنَّما تسأله بطريقة غير مباشرة، كأن تسأله عن إصدار أحكام على أشياء مثل: الصحة النحوية Grammaticly، أو عدم الصحة أو إعادة الصياغة، أو الغموض، ثم تسأله عن ذلك بعد أن يؤلف مجموعة من القواعد التي تفسر الأحكام، هذه الأحكام المناسبة تسمى الحدسIntiution ».[2]

إذن قدم تشومسكي حدس أبناء اللغة دليلاً مستقلاً وأصليًا في الحكم على تراكيب لغوية معينة بأنَّها صحيحة ومقبولة، أو خاطئة ومرفوضة،« أمَّا ما يقدمونه من شرح أو تفسير بين يدي هذا الحدس فقد عدّه

(1) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص 212.

(2) صبري إبراهيم السيد: تشومسكي، فكره اللغوي وآراء الثقافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1989، ص 75.

دليلا ثانويا في عملية توليد الجمل، وفي أعماله الأخيرة فقد اعتبر أن حدس أبناء اللغة إنَّما هو جزء من المادة اللغوية التي ينبغي على قواعد اللغة أن تفسرها وتعلمها».[1]

ومن المهم أيضًا أن ندرك جيدا أن الحدس بالنسبة إلى تشومسكي وأتباعه، ليس مجرد مصدر تكميلي للمعلومات اللغوية، بل إن له سلطة فعلية لا تتمتع بها الملاحظة، فعندما يصطدم الاثنان يصبح الحدس هو المرجع الذي يحدد طبيعة القواعد التي يضعها اللساني، وحتى الوصفيون نراهم يستعملون الحدس باعتباره« طريقًا مختصرًا بدلا من محاولة توثيق كل ملاحظة من ملاحظاتهم، حول اللغات التي يعرفونها، ولكن إذا تعرضت أي ملاحظة للتحدي، فإن الوصفيين عندئذ سيبحثون عن دليل موضوعي يدعمون به آراءهم (...)، أما عند تشومسكي فلا يجوز الاستعانة بالدليل الموضوعي في مثل هذه الحالات»[2]، حيث قدم تشومسكي في أعماله الأخيرة حدس أبناء اللغة على أنّه« جزء من المادة اللغوية التي ينبغي على قواعد اللغة أن تفسرها وتعللها، بل لقد أصبح الآن يعتمد على صدق هذا الحدس أكثر من ذي قبل عندما كان مهتمًا باختباره بواسطة إجراءات فنية Operational techniques دقيقة»[3]، لكن يقل أثر الحدس إلى درجة كبيرة« إذا كان إذا كان المرء يبحث في لغات غريبة»[4]

نتائج عامة:

- يعد الحدس في النظرية التوليدية التحويلية دليلاً وحكمًا يتمكن من خلاله ابن اللغة من معرفة التراكيب اللغوية الصحيحة، والتفريق بينها وبين الفاسدة منها، وطرد الأخيرة من المجال اللساني.

- يعد الحدس دليلا أصليًا في النحو التوليدي التحويلي، أما الشرح والتفسير فيعد دليلاً ثانويًا، ولا يحتاج ابن اللغة أن يقدم دليلاً موضوعيًا تجريبيًا على صحة ما يقول.

(1) أحمد مومن: اللسانيات. النشأة والتطور، (مرجع سابق)، ص 76.
(2) جفري سامسون: مدارس اللسانيات. التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، (مرجع سابق)، ص 160.
(3) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر:حلمي خليل، (مرجع سابق)، ص79.
(4) جفري سامسون: مدارس اللسانيات. التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، (مرجع سابق)، ص 158.

خلاصة:

لا شك أنّهَ وبعد ما تم معالجته تحت مباحث ومطالب هذا الفصل، والذي كان خاصًا بعرض عام لتاريخ النظرية التشومسكية، من حيث أسسها ومنطلقاتها ومنهجها، ومراحل نشأتها وتطورها ومفاهيمها النظرية، يتبين إلى أي مدى تغير مسار الدرس اللساني بعد أن طرح تشومسكي أفكاره اللغوية، فبعد أن كان هذا الدرس ولفترات طويلة يحتفي بالدراسات البنيوية، التي اتخذت الفلسفة التجريبية سندًا لها، أصبح يتنكر لها بل ويرفضها تمامًا في ظل النزعة العقلانية التي سيطرت على فكر تشومسكي، والتي تؤكد على أن اللغة تنظيم عقلي، وهي الخاصية المميزة للنوع البشري، ولهذا فلا شك أن تكون هذه النظرية هي الإتجاه المضاد للبنيوية وخاصة في صورتها الأمريكية.

الفصل الثاني: النظرية العقلية وآليات اكتساب وتعلم اللغة

المبحث الأول: المفاهيم النظرية، وقواعد اكتساب وتعلم اللغة

المطلب الأول: مفاهيم نظرية عامة

إن الأصول العقلانية التي أقام عليها تشومسكي منهجه، وربط من خلالها بين اللغة والعقل جعلته يقر بأن اللغة هي السبيل الأمثل إلى فهم الطبيعة البشرية، وبما أن فهم الطبيعة البشرية لايتم إلاَّ عن طريق اللغة حاول تشومسكي معرفة السبل والطرق التي تتيح لإنسان تعلم أي لغة كانت، وذلك من خلال تقديمه لمجموعة من المفاهيم النظرية المرتبطة مع بعضها البعض ارتباطًا وثيقًا، هذه المفاهيم تفسر لنا إلى حد بعيد الطريقة التي تم من خلالها عملية التعلم.

1_ إبداعية اللغة: Créative linguistique

أكدّ تشومسكي أن قدرة الإنسان على التحكم في اللغة هي قدرة ينفرد بها الجنس البشري، دون غيره، لأنَّ نظم الإتصال الأخرى التي تستخدمها باقي الكائنات غير الإنسان، ليست لها القدرة الإبداعية غير المحدودة على توليد عدد غير محدود من الجمل،« بمعنى أنَّها لا تستطيع أن تنقل إلاَّ عددًا ضئيلاً من الرسائل الغريزية ذات الدلالة الثابتة، كما لا يستطيع الحيوان أيضًا أن ينوع أو يكون جملاً جديدة».[1]

لذا يركز النحو التوليدي التحويلي على خاصية الإبداعية، ويعدها خاصية أساسية في اللغة ويربطها بالعقل الإنساني، وتتجلى السمة الإبداعية في اللغة الإنسانية في مقدرة ابن اللغة على إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل، سواء كان قد سمعها أو لم يسمعها من قبل، فهي قدرة وطاقة غير محدودة بزمان أو مكان أو ظروف خارجية، تجعل أبناء اللغة الواحدة ينتجون ويفهمون عددًا وكمًّا هائلاً من الجمل، وعلى هذا« فاللغة الإنسانية، تتجلى عبر مظهر استعمالها الإبداعي في القدرة الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة، وعلى تفهم تعابير فكرية أيضًا متجددة، وذلك في إطار لغة مؤسسة، هي نتاج ثقافي خاضع لقوانين ومبادئ تختص بها

(1) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، (مرجع سابق)، ص 58.

جزئيًا، وتعكس جزئيًا خصائص عامة للفكر».[1]

في ظل هذا التصور العقلاني والخلاق للغة، تعد اللغة عملاً عقليًا يتجدد باستمرار، سواء من ناحية إنتاج الجمل، أو من ناحية تفهم هذه الجمل، فكل إنسان قادر على إنتاج وفهم جمل جديدة، وتحكم ابن اللغة في هذه القدرة تحكم غير واع، فهو لا يلتفت إلى عملية تطبيق القواعد النحوية عند إنتاجه وخلقه للجمل، ثم إن هذه القدرة الخلاقة هي طاقة ينفرد بها الجنس البشري دون غيره، حيث« تختص هذه المقدرة بالإنسان بالذات من حيث هو إنسان، لذا لا نجدها عند أي كائن آخر»[2]، ويشير تشومسكي إلى رؤية ديكارت للاستعمال الإبداعي للغة فيقول:« فقد لاحظ ديكارت ومن تبعه على رأيه، أن الاستعمال السوي للغة استعمال مبدع على الدوام وغير متناه، كما يبدو أنَّه حرٌّ من تحكم المثيرات الخارجية والحالات الداخلية، وهو كذلك منسجم وملائم للمقامات التي يستخدم فيها، يضاف إلى ذلك أنه يثير لدى السامع الأفكار التي يمكن لهذا السامع أن يعبر عنها في الحالات المماثلة بالطريقة نفسها، ولذلك فإنَّ المتحدث في الحالات السوية لا يقوم بتكرار ما سمعه، بل ينتج أشكالاً لغوية جديدة، وهي في الغالب جديدة في كلام المتكلم هذا، أو حتى في تاريخ اللغة، كما أن هذا الإبتكار لا حدود له (...)، فالاستعمال السوي للغة حر وغير محدود، ومع ذلك فهو ملائم للمقامات».[3]

إذن على فكرة الإبداعية قام مفهوم اللغة عند تشومسكي، هذه الإبداعية التي تبدو من خلال ما ذكره تشومسكي قدرة على الممارسة الفعلية للغة، فكل استعمال فعلي للغة حسبه استعمال متجدد وخلاق، لا تحكمه المؤثرات والظروف الخارجية، كما قال بذلك السلوكيون، فلا يمكن أن نعتبر كل ما يقوله الإنسان ويتلفظ به تكرارًا لما كان قد سمعه وتعلمه من قبل، بل إن جلَّ إن لم يكن كل ما يتلفظ به متكلم اللغة شكل لغوي جديد، ملائم للسياق الذي ورد فيه، بما في ذلك الإستعمال اليومي للغة، حيث تندرج الإبداعية في« استعمال اللغة الإستعمال اليومي العادي»[4]، ويظهر هذا الجانب الإبداعي في بناء جمل جديدة تختلف شكلاً

(1)N.chomsky : language and mind . p19

(نقلاً عن: ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 59).

(2) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 59.

(3) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 14_13.

(4) N.chomsky : Dialogues avec mitsou romal. P 92.

ومعنى، وبهذا التصور الإبداعي للغة يصبح كلامنا الذي نتلفظ به يوميًا، إنتاج إبداعي جديد يعكس ما هو مكتنز في أذهاننا من مشاعر وأفكار ورغبات متجددة، ولا يمكن أن نعده تكراراً لما تعلمناه من خلال التدريب والمران كما قال بذلك البنيويين.

نتائج عامة:

1_ الإبداعية خاصية إنسانية محضة، يختص بها الجنس البشري دون غيره، وهي السر وراء قدرة ابن اللغة على تعلم وفهم عدد لا متناه من الجمل.

2_ تتجسد خاصية الإبداعية في اللغة الإنسانية، من خلال قدرة متكلم اللغة على التعبير عن أفكار متجددة بأشكال لغوية جديدة.

3_ الإستعمال اليومي للغة استعمال مبدع ومبتكر بالضرورة، وعلى هذا يكون جُل أو كل ما يتلفظ به الإنسان إنتاج جديد، يحمل فكر جديد.

4_ خاصية الإبداعية غير مرتبطة بأي نوع من المثيرات الخارجية، وإنَّما مرتبطة بطبيعة اللغة.

2_ الكفاية اللغوية: La competence linguistique

تهتم النظرية التوليدية التحويلية بدراسة الكفاية اللغوية عند متكلم اللغة من حيث هي قدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل، وتميز هذه النظرية بين معرفة متكلم اللغة بلغته، وبين استعماله لهذه اللغة، أي بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، وعدَّ تشومسكي الكفاية اللغوية« خصيصة من خصائص النوع، وعامة في أفراده، ومقصورة عليه في صفاتها الأساسية، وهي قادرة على إنتاج لغة غنية ومفصلة ومعقدة على أساس مادة لغوية قليلة».[1]

وعلى هذا تعد الكفاية اللغوية خاصية من الخصائص المميزة للنوع البشري، ومعناها أن كل إنسان ولد

(نقلاً عن: ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 59).

(1) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 46.

في بيئة معينة قادر على التعبير بلغة تلك البيئة، التي ولد وترعرع فيها، فهي ملكة فردية تخص ابن اللغة، تتحدد بكونّها،« معرفة متكلم اللغة بقواعد لغته بصورة ضمنية».[1]

وقد ورد مصطلح الكفاية اللغوية في الترجمات العربية بعدة ترجمات، منها "الكفاية"[2]، و"الكفاءة"[3]، و"القدرة اللغوية"[4]، و"التمكن اللغوي"[5]، و"القابلية"[6]، وقد حدد أحمد خليل عمايرة، وعاطف فضل مفهوم الكفاية اللغوية، في المعرفة الضمنية لمتكلم اللغة بقواعد لغته.

كما أورد ميشال زكريا مفاهيم وتعاريف كثيرة لمصطلح الكفاية اللغوية، انطلاقًا من ترجماته لما ذكره تشومسكي في مؤلفاته، حيث يعرفها بأنَّها،« قدرة المتكلم_ المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية، وبين المعاني في تناسق تام»[7]، وعرفها أيضًا بقوله:« ملكة لا شعورية تجسد الأبنية التي يؤديها متكلم اللغة بهدف صياغة جملة، وذلك طبقًا لتنظيم القواعد الضمنية للذين يقرنون بين المعاني والأصوات اللغوية»[8]، وعرفها سمير شريف إستيتية« بأنَّها القدرة على بناء أنموذج لغوي ذهني مشترك، بين المرسل والمستقبل سداه الصوت، ولحمته الدلالة، وعلى أساسه تتمثل القواعد اللغوية».[9]

وحسب تشومسكي فإننا لا نجد« خلافًا في أن الملكة اللغوية ملك مشترك للبشر، مع وضع الحالات المرضية جانبًا»[10]، فالقدرة التي يتمتع بها ابن اللغة،« مشتركة بين جميع البشر، إلاَّ أنهم وإن كانوا يشتركون في هذه القدرة، فإنَّهم متفاوتون في كيفية تحقيقها أي، في كيفية استعمالها، فهناك من يتحكم في هذا الإستعمال تحكمًا تامًا، إلاَّ في بعض الحالات (تعب، اضطراب، سهو)، فيخطأ في حالة إعرابية، وهذا لا يرجع

(1) ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، (مرجع سابق)، ص 154.
(2) ينظر: ميشال زكريا،1982، ص 32.
(3) ينظر: أحمد خليل عمايرة، 1995، ص 57.
(4) ينظر: حلمي خليل، 1999، ص 57.
(5) ينظر: كريم زكي، 1993، ص 69.
(6) ينظر: مرتضى جواد باقر، 2002، ص 26.
(7) ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، (مرجع سابق)، ص 32.
(8) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
(9) سمير شريف إستيتية: اللسانيات، المجال، الوظيفة، لمنهج، (مرجع سابق)، ص 177.
(10) نعوم تشومسكي: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ماوراء التفسير، تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 133.

لقدرته ولكن لجهازه العصبي كا لاضطراب الجسدي، هذا الجانب يسمى عند تشومسكي كيفية التأدية La performance».[1]

يلاحظ من المفاهيم السالف ذكرها أن مفهوم الكفاية اللغوية لم يخرج عن النقاط الأتية:

1_ الكفاية اللغوية خاصية من خصائص النوع البشري.

2_ الكفاية اللغوية خاصية مشتركة بين أبناء اللغة، ومقصورة عليهم.

3_ الكفاية اللغوية قدرة تمكن متكلم اللغة من إنتاج عدد لا محدود من التراكيب اللغوية انطلاقًا من عدد محدود من الفونيمات والأصوات.

4_ الكفاية اللغوية معرفة ضمنية لمتكلم اللغة بقواعد لغته.

5_ الكفاية اللغوية قدرة على الربط بين الأصوات والمعاني الموجودة في الذهن، في معنى لغوي محدد، وضمن سياق محدد أيضًا.

وعلى هذا،« يستطيع كل إنسان ينشأ في بيئة معينة التعبير بلغة هذه البيئة، وهذا يعني أن بإمكانه فهم عدد غير متناه من جمل هذه اللغة، وصياغته حتى ولو لم يسبق له سماعه من قبل، وليست مقدرة الإنسان هذه محدودة، بل بإمكانه، في كل آن وبصورة عفوية، فهم جمل اللغة وصياغتها، يتم له ذلك باتباعه في الحقيقة، قواعد معينة يكتسبها من ضمن اكتسابه اللغة»[2]، لهذا جعل تشومسكي« الملكة اللغوية في مركز الدرس اللغوي، ما يمثل تحولاً كبيرًا في مسار الدرس اللغوي المعاصر أثار، ومازال يثير كثيرًا من مناحي البحث والنقاش والجدال الفكري، الذي أثرى الدرس اللغوي المعاصر ثراءً كبيرًا».[3]

وتجدر الإشارة أن مصطلح "ملكة اللغة"، لا يقابل مفهوم "معرفة اللغة"، الذي ذكره تشومسكي في مؤلفه "مظاهر النظرية النحوية"، إذ« تتمثل الملكة اللغوية فيما أطلق عليه: القدرة La competence، أو

(1) التواتي بن التواتي: المدارس السانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر، (د.ط)، 2008، ص 58.

(2) ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، (مرجع سابق)، ص 7.

(3) السيد الشرقاوي: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، (مرجع سابق)، ص 20_21.

ما يطلق عليه: القدرة اللغوية Linguistic comptence، ومعناها قريب من المعرفة اللغوية التي يحصلها المرء عندما يعرف لغته، أو نحو اللغة الذي سيطر عليه المتكلم وبناه داخليًا على حد تعبير تشومسكي، أمَّا مفهوم الملكة، فإنَّه يتعلق بالمبادئ الفطرية المحددة بيولوجيًا، أو المساعدة على اكتساب اللغة».[1]

كما عالج تشومسكي القضايا المتعلقة بالمعرفة اللغوية، وعلاقتها بالملكة اللغوية، وطرح في كثير من مؤلفاته تساؤلاً عن الطريقة التي ينشأ بها نظام المعرفة، أي« كيف نشأ نظام المعرفة (أي المعرفة اللغوية) في العقل / الدماغ؟»[2]، وهو التساؤل نفسه الذي طرحه في كتابه" المعرفة اللغوية"، حيث تساءل قائلاً:« كيف تكتسب معرفة اللغة؟»[3]، ويجيب تشومسكي على هذه الإشكالية معتمدًا على فكره الذي يقر بعلاقة العقل بالملكة اللغوية، حيث يرى أن هذه المشكلة« تجد حلها في إطار بعض خصائص العقل/ الدماغ، وبعض خصائص البيئة اللغوية (..)، وينتج عن تفاعل هذه العوامل نظام للمعرفة التي تمثلت في العقل/ الدماغ بصفتها الحالة الناضجة للمكلة اللغوية، ويتيح نظام المعرفة هذا تأويل التراكيب اللغوية، وهي ضمنها تلك التراكيب الجديدة التي لم يسمع بها الطفل الذي يتعلم اللغة».[4]

وفي الأخير، يمكن القول أن "الملكة اللغوية" عند تشومسكي صفة وخصيصة إنسانية، تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، وتيسر له إنتاج وتعلم أي لغة من اللغات.

3_ الأداء اللغوي: La performance

يعد هو الآخر من بين أهم المفاهيم الجوهرية في النحو التوليدي التحويلي، والمرتبط بشكل مباشر بعملية تعلم واكتساب اللغة، حيث ذكره تشومسكي جنبًا إلى جنب مع مصطلح الكفاية اللغوية، بغرض التمييز بينهما، فإن كانت الكفاية اللغوية _كما ذُكر سابقًا_ معرفة ضمنية لدى متكلم اللغة بقواعد لغته،« فالأداء تمظهر المعرفة هذه في استعمال اللغة الآني»[5]، أي أن الأداء هو التحقيق الفعلي المجسد للغة، والذي يمثل اللغة

(1) حسام البهنساوي: نظرية النحو الكلّي والتراكيب اللغوية العربية (دراسات تطبيقية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 20.

(2) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 15.

(3) السيد الشرقاوي: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، (مرجع سابق)، ص 20_21.

(4) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 28.

(5) ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، (مرجع سابق)، ص 47.

بعد تطبيق مبادئ وقوانين الملكة اللغوية،« لتصبح نظامًا متكاملاً بحاجة إلى بعض التعديل الهامشي، كإضافة بعض المواد المعجمية، وبذلك تكون اللغة المبنية داخليًا شكلاً عقلانيًا يتعلق بالبنى والعمليات العقلية، وذلك لإفتراضها _أي اللغة_ سمات جوهرية لنظام اكتساب اللغة لما تقدمه من مخط عام ينطبق على المادة اللغوية».[1]

وعلى هذا يكون "الأداء" أو " التـــأدية" ممارسة فعلية مادية للغة، انطلاقًا من مبادئ وقوانين الملكة اللغوية، وانعكاسًا مباشر لهذه الملكة، إلا أنه ليس انعكاسًا تامًا بسبب السياق والظرف الخارجي الذي يؤثر فيه، لذلك يختلف الأداء بحسب اختلاف السياقات والظروف من بيئة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر.

ويقابل مصطلح "الأداء" عند تشومسكي مصطلح "الكلام" عند سوسير، على اعتبار أنَّ الأداء هو الكلام أو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات، تنتظم في تراكيب خاضعة للقواعد والقوانين الكامنة في ذهن ابن اللغة، والمسؤولة عن تنظيمها، فهو الوجه الظاهر والمنطوق للمعرفة الضمنية باللغة،« ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية اللغوية تطابق تام، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية...إلخ».[2]

نتائج عامة:

1_ الأداء اللغوي هو إنجاز فعلي للغة، ويكون هذا الإنجاز إمَّا منطوقًا أو مكتوبًا.

2_ الأداء استعمال فعلي للغة ضمن سياق معين.

3_ الأداء هو انعكاس مباشر للملكة اللغوية، لكنه ليس انعكاسًا تامًا، لأنّه قد ينحرف عن قوانين اللغة بفعل عوامل، وهي عوامل سياقية خارجة عن إطارها كأن تكون عوامل نفسية أو اجتماعية أو ثقافية.

(1) صبحا عواد سليم الخوالدة: المســـألة اللغوية بين ابن جني وتشومسكي، (مرجع سابق)، ص 19.
(2) أحمد خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، (مرجع سابق)، ص 58.

المطلب الثاني: قواعد اكتساب وتعلم اللغة في النحو التوليدي التحويلي

تتميز القواعد التوليدية التحويلية بأنَّها قواعد لغوية صرفة، تتعامل مع الكفاية اللغوية عند متكلم اللغة، وهذا ما يختلف تمامًا مع منهج السلوكيين التجريبين الذين تعاملوا مع اللغة تعاملاً سلوكيًا، حين اعتبروها عادات كلامية مكتسبة من مزيج من المؤثرات الخارجية، وقواعد النحو التوليدي التحويلي هي،« نظام من القوانين تعطي بشكل واضح ومحدد أوصافًا بنيوية (...) تحاول أن تصف بأكثر الطرق حيادية المعرفة اللغوية التي تكون الأساس لإستخدام الفعلي للغة من قبل [كذا] المتكلم_ المستمع».[1]

وعلى هذا فالقواعد التوليدية حسب تشومسكي هي نظام لغوي موجود في ذهن كل متكلم، وهذا النظام هو الذي يمكنه من تعلم اللغة، حيث يستطيع من خلاله توليد عدد لا نهائي من الجمل، يحدد صحتها حدسه اللغوي، فعلى المتكلم أن يتبع هذه القواعد التي تسمح له بإنتاج وفهم التراكيب اللغوية، لأنَّ« الهدف الأساس للنحو التوليدي التحويلي هو تهيئة مجموعة القوانين اللازمة لتوليد عدد لا محدود من الجمل الممكنة في أية لغة».[2]

ويحكم تعلم اللغة عند تشومسكي الإقرار بوجود ثلاث مسلمات رئيسية، تعد بمثابة قواعد أساسية يستطيع من خلالها الإنسان تعلم اللغة، وأي لغة أراد، وهذه المسلمات هي:

1- الفطرية اللغوية
2- النحو الكّلي (القواعد الكلّية)
3- التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي

وفيما يلي تفصيل في هذه الفرضيات التي وضعها تشومسكي، والتي على أساسها يستطيع الإنسان اكتساب وتعلم اللغة.

(1) نعوم تشومسكي: جوانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد باقر، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، العراق، ع9، 2012، ص 104.

(2) جودت غرين: علم اللغة وعلم اللغة النفسي، تر: مجيد الماشطة، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ع:9، 2004، ص104.

1_ الفرضية الفطرية:

الإنسان عند تشومسكي لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير فحسب، بل يختلف عنه في خصائص كثيرة أهمها على الإطلاق قدرته على اللغة، وقد توصل في تفريقه هذا إلى التأكيد على فكرة "الفطرية اللغوية"، وهذه الفكرة هي فكرة جوهرية أكدت عليها النظرية التوليدية التحويلية، والمرتبطة بشكل مباشر بعملية تعلم واكتساب اللغة، والتي تحدد لنا ماهو فطري في هذه العملية، وقد أشار تشومسكي في كتابه "اللسانيات الديكارتية"، أن ديكارت كان قد تحدث عن فكرة وجود بنيات لغوية ضمنية عقلية تسمح للإنسان بتعلم اللغة، و« تعلق النظرية أهمية قصوى على محاولة اكتناه البنى اللغوية الفطرية عند الإنسان، وتتساءل بإلحاح عن ماهية هذه البنى، وعن المسلمات الأولى المتعلقة بطبيعة اللغة، والتي تقود الطفل في عملية اكتساب اللغة».[1]

يتحدد مفهوم "الفطرية اللغوية" في ذلك الإستعداد الفطري الذي يسمح لإبن اللغة بتعلم لغته، لذلك رأى تشومسكي أن،« التعلم هو في البدئ مسألة ملئ بالتفصيل داخل بنية هي فطرية»[2]، أي أن تعلم اللغة يحكمه استعداد فطري موجود في ذهن كل إنسان، وبتفاعل ذلك الاستعداد مع بيئة المتكلمين يتعلم الإنسان أشكالاً لغوية جديدة، وهذه الفطرية« الموجودة في الإنسان وحده هي التي تجعل الطفل في أيّة أمة كانت يستطيع، أن يتعلم أية لغة كانت مادام هذا الطفل قد عاش أو وُجد في بيئة تتكلم هذه اللغة، ويُنشَّأ هذا الطفل عليها، مثال ذلك: نأخذ طفلاً صغيرًا من أيَّ بلاد كان، ونعطيه إلى بلاد آخر يربيه فإنَّه يتعلم اللغة التي نشأ بين أهلها بفصاحة مطلقة، وهذا معناه أن الإنسان مفطور، ومجبول لكسب أي لغة بشرط أن ينشأ عليها وفي بيئتها».[3]

---

(1) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 68.

(2)N.chomsky: reflexions on language .p1.

(نقلاً عن: ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 68).

(3) التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية ومناهجها، (مرجع سابق)، ص 58.

وتتسم الفطرية اللغوية« بالشمولية، بمعنى أن هناك عددًا من القواعد الكلّية في ذهن كل إنسان، تكون معه منذ ولادته، ومن خلال التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها، تضح الكلّيات وتُملأ بمكتسبات لغوية، بحيث يكون قادرًا على توليد جمل وبنائها بناءً مضبوطًا بقواعد تسمى قواعد التوليد».[1]

2_ النحو الكلي: Grammaire universelle

فرق تشومسكي بين نوعين من القواعد، أولهما القواعد الخاصة، وهي القواعد التي تختص بها لغة بعينها، كاختصاص اللغة العربية برفع الفاعل، ونصب المفعول، وثانيهما القواعد الكلية Grammaire universelle، وهذه الأخيرة من بين أهم الفرضيات التي طرحها النحو التوليدي التحويلي،« وترجع أسباب هذه الفرضية، إلى أوجه التشابه الموجودة بين اللغات، كما ترجع بشكل أعمق إلى العوامل المشتركة التي تساعد البشر على تعلم اللغة»[2]، وتجدر الإشارة هنا أن فكرة وجود قواعد كلّية تشترك فيها اللغات الإنسانية فكرة كانت موجودة من قبل في الفكر الديكارتي والفكر الهمبولدي، إلاّ أن تشومسكي توسع وبحث فيها بشكل أدق، ويبرز « الاهتمام بالقواعد الكلية في المدرسة اللغوية الديكارتية التي احتدت في آرائها آراء الفيلسوف الفرنسي"ديكارت"، الذي حصر اهتمامه بالمبادئ الكلية للبنية العميقة، وبالطريقة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره، والذي أوضح أن المسار اللغوي والمسار العقلي متماثلان»[3]، كما يظهر الاهتمام بهذه الفكرة عند همبولد الذي أكد أن« التحليل اللغوي العميق يبين "شكلاً لغويًا" مشتركًا، وقائمًا وراء التباينات الملحوظة بين أمة وأخرى، وبين فرد وآخر (...)، والقواعد العامة هي دراسة الشروط الكلية التي تنص على شكل كل لغة إنسانية».[4]

إن فرضية "الفطرية اللغوية" في النحو التوليدي التحويلي، التي ترى أن كل البشر دون استثناء يولدون مزودين بقدرات فطرية، تمكنهم من فهم وتعلم اللغة، قادت تشومسكي إلى طرح فرضية أخرى تتعلق ومرتبطة بها، وهي أن « الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية والقواعد الكلية التي تقوم بضبط الجمل

(1) عاطف فضل: مقدمة في اللسانيات للطالب الجامعي، (مرجع سابق)، ص 80.

(2) رونالد إيلواز: مدخل إلى اللسانيات، تر: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، (د.ط)، 1986، ص 141_142.

(3) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 69.

(4) N. chomsky: cartesian linguistice. P87.

(نقلاً عن: ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 80).

المنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين نحوية عامة»[1]، وهذه الكليات اللغوية هي« مجموعة من القواعد البنيوية التي تميز كل اللغات البشرية (...)، فكل لغة تظهر فيها الخاصية A مثلاً من الضروري أن تظهر فيها الخاصية B »[2].

فاللغات الإنسانية حسب تشومسكي رغم اختلافها وتنوعها، وتعددها، تمتاز جميعها بنظام مشترك فيما بينها ، ويتمثل هذ النظام في مجموعة من القواعد اللغوية، التي تحتوي على« المبادئ الكلية القائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلم أية لغة من اللغات، فهي صورة معبرة عن جوهر اللغة الإنسانية، وتحتوي على المبادئ الدائمة والثابتة والقائمة ضمن العقل الإنساني، والتي لا تتغير لتنوع الجنس البشري»[3]، وهذا ما جعله يقر بوجود تشابه كبير بين جميع اللغات الإنسانية، وقد يكون هذا التشابه تشابهًا في« القواعد النحوية، والصرفية، والصوتية»[4]، وما يؤكد هذا الافتراض تمييز كل لغات العالم بين الأسماء والأفعال، واختلافهما من حيث الموقع والإستعمال، كما أن جميع اللغات الإنسانية تفرق بين المفرد والجمع.

وحسب تشومسكي يحاول النحو الكلي« صياغة المبادئ التي تدخل في عمل الملكة اللغوية (...)، وما يشتمل عليه النحو الكلّي، مثلاً، مبدأ أن القواعد معتمدة على البنية، وأن الضمير لابد أن يكون حرًّا في مجاله، وعدم التناظر بين الفاعل والمفعول (...)، كما يعطي النحو الكلّي تفسيرًا جوهريًا للظواهر الملاحظة، فيمكننا بواسطة مبادئه أن نستنتج أنَّه لابد أن تكون الظواهر على شكل معين، بدل من أن تكون على شكل معين آخر، نتيجة للمادة الأولية التي قدمت للملكة اللغوية التي تستعمل هذه المادة في إنجاز الحالة الراهنة التي هي عليها».[5]

بصورة عامة يقرّ التصور العقلاني للغات الإنسانية، بوجود صفات وخصائص مشتركة بين هذه اللغات، وقد أطلق على هذه القواسم مصطلح "النحو الكلّي" أو "القواعد الكلّية"، وهذه الكليات نوعان: مادية، وصورية، و« تتمثل الكليات المادية في كون اللغات الإنسانية تشترك، في بعض الأصوات اللغوية من حيث هي

(1) أحمد خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، (مرجع سابق)، ص 56).
(2) دومنيك مازوني: قيود النحو الكلي_كيف يكتسب الناس اللغة، مجلة الحياة الثقافية، ع139، 2002، ص 35.
(3) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 68_69.
(4) إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط2، 2009، ص 37.
(5) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 94.

مادة، وفي بعض الخصائص المميزة لها، مثل الشفوية والإنفجارية، والإحتكاكية، (...)، أمَّا الكليات الصورية فتتجلى في كون اللغات البشرية تعرف عددًا مشتركًا من المبادئ الصورية العامة المتعلقة بتنظيم اللغات من الناحية الشكلية، سواء في مستوى الدلالة، أو مستوى التركيب:

_ جميع اللغات تتوافر بها بنيات سطحية، وبنيات عميقة.

_ جميع اللغات تلجأ إلى مفهوم التحويل، الذي بواسطته الإنتقال من البنيات العميقة إلى البنيات السطحية». [1]

وفي مستوى الدلالة، يُلاحظ بشكل جلي، اشتراك اللغات الإنسانية في مجموعة من الخصائص المتعلقة بدلالة ومعاني كثير من الألفاظ والتراكيب، وما تختلف فيه هذه اللغات حسب تشومسكي هو كيفية تطبيقها التحويلات، كل حسب طبيعة نسقها التركيبي، وعلى هذا يتمثل جوهر منهج تشومسكي في دراسة اللغة في إقراره بوجود كليات لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، لابد من معرفتها، وهذا ما« جعل الفلاسفة، وعلماء النفس يولون لها اهتمامًا كبيراً في السنوات الأخيرة، الأمر الذي أكسب اللسانيات أهمية أكثر من ذي قبل، ويقول تشومسكي إن تفسير اشتراك جميع لغات العالم بقالب واحد (على افتراض أنَّها فعلا تشترك في هذا)، يكمن في أن تركيب العقل البشري الموروث يجبره على استعمال لغات من هذا النوع بالتحديد».[2]

3_ التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي:

تغير مجال البحث اللساني مع تشومسكي من وصف وتحليل السلوك اللغوي _على اعتبار أن اللغة سلوك كما قال بذلك السلوكيون_، إلى وصف وتفسير نظام المعرفة الذهني، المسؤول عن عملية اكتساب وتعلم اللغة، وفي هذا الإطار ميزَّ تشومسكي بين مصطلحي الكفاية اللغوية La compétence linguistique، ومصطلح الأداء الكلامي La performance، فالكفاية اللغوية تحدد بكونها« المعرفة الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة، في حين أن الأداء الكلامي هو الإستعمال الآني لهذه المعرفة في عملية التكلم، ويقود هذا التمييز إلى اعتبار أن الكفاية اللغوية حقيقة عقلية

(1) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، (مرجع سابق)، ص 34.

(2) جفري سامسون: مدارس اللسانيات. التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، (مرجع سابق)، ص 154.

كامنة وراء الأداء الكلامي الذي ينحرف، في الواقع، بعض الشيء عنها، وذلك لأسباب عائدة إلى ظروف المتكلم».[1]

وهذا معناه أن القواعد المتمثلة في ذهن متكلم اللغة، والموجودة ضمن كفايته اللغوية هي التي توجه وتنظم عملية الأداء الفعلي للغة، لأنَّ« اللغة التي ننطقها تكمن تحت عمليات عقلية عميقة»[2]، وهذه العمليات تحدث ضمن الكفاية اللغوية لدى متكلم اللغة، و« عندما نقول أن الإنسان يستعمل في عملية التكلم، كفايته اللغوية، فإنَّ كلامنا هذا لا يعني أنَّه يستعملها بصورة تامة ومتكاملة، وذلك لأن الأداء وإن كان ناجمًا عن الكفاية اللغوية، فإنَّه يشتمل عامة على عدد من المظاهر الخاصة التي لا ترتبط بالتنظيم اللغوي (...)، وبإمكان المتكلم أن يكتشف هذا الإنحراف عن قواعد اللغة في أدائه»[3]، عن طريق حدسه اللغوي، الذي يعد حكمًا على صحة التراكيب اللغوية أو فسادها.

ولتوضيح الفرق بين كلا المفهومين نستعرض مثالاً توضيحيًا:

- عندما يسمع شخص معين، ولنفترض أنَّه "رجل" بأنَّ والدته مسافرة معأحد أقربائه، ولنفترض أن هذا الشخص "خاله"، فإنَّ هذا الحدث يستقر في نفسه ويصبح في ذهنه معنى لغوي محدد، وهذا ما أطلق عليه " الكفاية اللغوية"، فالفكرة الرئيسية العميقة حول هذا الحدث تتحدد في عناصر معينة هي: السفر، الوالدة، الخال، وهذا الحدث يمكن التعبير عنه انطلاقًا من القواعد الموجودة في كفاية المتكلم، وبجمل مختلفة، ومثال هذا:
  - سافرت أمي مع خالي
  - خالي سافر مع أمي
  - سامية أمي سافرت مع خالي
  - خالي محمد سافر مع أمي
  - سامية أمي سافرت مع خالي محمد

(1) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 61.

(2) أحمد المهدي المنصوري، اسمهان الصالح: النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع29، 2014، ص 328.

(3) جفري سامسون: مدارس اللسانيات. التسابق والتطور، تر: محمدزياد كبة، (مرجع سابق)، ص 154.

ü خالي محمد سافر مع أمي سامية

والجدير بالذكر هنا، أن« الكفاية اللغوية تُعزى إلى منطقة اللاوعي عند الإنسان، وتتصف بطابع اللاشعور، فترتد اللغة، من هذا المنظور إلى عملية تحقيق ضمني لا شعوري لسياق الكلام، الذي يعيه متكلم اللغة بقدر ما ينطق به، في حين يرتد الكلام الملحوظ إلى الأداء الكلامي».[1]

وعلى هذا فأي إنسان يتكلم لغة ما، هو بالضرورة قد اكتسب قواعدها، وفي هذا السياق يقول تشومسكي:« فمن الواضح جدّا أن للجمل معنى خاصًا تحدده القاعدة النحوية، وأن كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته وبصورة ما، تنظيم قواعد تحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص، فهذا الإنسان قد طور في ذاته ما نسميه الكفاية اللغوية».[2]

إذن فإنَّ من أهم سمات منهج تشومسكي في دراسة اللغة، وتفسير عملية تعلم اللغة، تمييزه بين القدرة اللغوية والأداء اللغوي، أو الممارسة، وهو« استرجاع للتمييز بين المقدرة والكلام عند (سوسير) (...)، وأجابت هذه النظرية عن بعض الأسئلة المتعلقة باكتساب اللغة، وأطلق عليها اسم Natives Approch، وهذا المصطلح مشتق من قاعدة أساسية هي أن اكتساب اللغة أمر حاصل فطري، حيث نولد ولدينا الميل لإكتساب اللغة المحيطة بنا ».[3]

ويتبين من هذا العرض المتعلق بالكفاية اللغوية، والأداء الكلامي أن كلاً المفهومين على جانب كبير من الأهمية في النظرية اللغوية، وذلك لأنَّه ومن خلال« التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، تتوافر المادة اللغوية التي تجب دراستها».[4]

(1) ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 62.

(2)N. chomsky : the formal nature of language. P 125.

(نقلاً عن: ميشال زكريا: قصايا ألسنية تطبيقية، (مرجع سابق)، ص 63).

(3) جفري سامسون: مدارس اللسانيات.التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، (مرجع سابق)، ص

(4) ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، (مرجع سابق)، ص 63.

المبحث الثاني: النظرة العقلية للعملية التعليمية، وآراء اللغويين فيها

المطلب الأول: توظيف النظرية الألسنية في تعليم اللغات

اهتم الكثير من الباحثين واللغويين، وعلماء النفس والناشطين في مجال التربية بتفسير عملية تعليم وتعلم اللغة، وقدموا عددًا من الآراء التي جاءت على شكل نظريات، استثمرت في مجال تعليمية اللغة، والتعليمية كمجال بحث لا يقتصر على تعليمية اللغات فحسب، بل هي علم يهتم بالمتعلمين في كل التخصصات، ونظرًا لكون مصطلح "تعليمية اللغة"، المصطلح الأكثر انتشارًا اختصر هذا المصطلح عند أصحاب التخصص وغيرهم إلى "التعليمية"، وصار التلفظ به يحيل بشكل مباشر إلى طرق وأساليب تعليم وتعلم اللغة.

ويعرف المتخصصين في مجال التربية واللسانيات التطبيقية التعليمية بأنَّها،« الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ، قصد بلوغ الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي، أو الإنفعالي أو الحسي أو الحركي، كما تتضمن البحث في المسائل التي يطرحها تعليم مختلف المواد».[1]

كما تعد« التعليمية علم مستقل بنفسه، وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى، وهو يدرس التعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه دراسة علمية، وهو في ميدان تعليم اللغة يبحث في سؤالين مترابطين ببعضها، ماذا ندرس، وكيف ندرس».[2]

وعلى هذا تركز تعليمية اللغة على البحث في الإستراتيجيات والأدوات التي تتيح للمتعلمين أسهل الطرق والسبل لتعلم أي لغة كانت، فهي« الطريقة التي يتدرج بها المعلم في شرحه للمعلومات المراد تدريسها، ويتسلسل بها من السهل إلى الصعب، ومن المألوف إلى غير المألوف، ومن البسيط إلى المركب، ومن المحسوس إلى المجرد وغير ذلك (..)، إلى أن تحقق الأهداف المنشودة في أقل وقت وجهد ممكنين»[3]، وهي تهتم بالإجابة عن أسئلة كثيرة منها« ماذا يجب أن ندرس؟ من هو أهل للتدريس؟، ولمن يوجه هذا التدريس؟ كيف ندرس،

(1) محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، الجزائر، ط1، 2000، ص 8 .
(2) بشير أبرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007، ص 9.
(3) أفنان نظير دروزة: النظرية في التدريس وترجمتها عمليًا، دار الشروق، عمان، ط1، 2007، ص 36.

وماهي الوسائل التي يمكن أن نعتمدها في التدريس؟ ماهي غايات النشاط التعليمي الذي نقوم به، ماهي مراميه وأهدافه، كيف نعرف أننا قد بلغنا بالفعل الغايات والمرامي والأهداف المنشودة؟».[1]

وإذا حاولنا تتبع العلاقة بين اللسانيات وتعليمية اللغة، بداية من سوسير إلى غاية تشومسكي، فسنجد أن هناك علاقة وطيدة جدا بين اللسانيات كعلم نظري يهتم بدراسة اللغات الإنسانية، بغية الكشف عن قوانينها ومعرفة حقائق اللسان البشري، وبين التعليمية كمجال تطبيقي، يسعى إلى وضع مبادئ وأسس وطرق بسيطة لتعلم وتعليم اللغات، سواء كانت هذه اللغات هي لغات أُم، أو كانت مما يكتسبه ويتعلمه الفرد من لغات أجنبية، حيث أضحى الحديث عن تعليمية اللغات مركز استقطاب في الفكر اللساني المعاصر،« وإذا تأملنا الحقلين، تبين لنا مدى الصلة القوية القائمة بينهما، فكلاهما يحتاجان لبعضهما البعض باستمرار، فاللساني يجد في حقل تعليم اللغات ميدانًا عمليًا لإختبار نظرياته العلمية، والمربي، بالمقابل، يحتاج في ميدان تعليم اللغات أن يبني طرقه وأساليبه، على معرفة القوانين العامة التي أثبتها علم اللسانيات الحديث»[2]، وهذا معناه أن التعليمية تطبيق لحصيلة النتائج المحققة في مجال البحث اللساني النظري بغية الإرتقاء بطرائق تعليم اللغات للناطقين وغير الناطقين بها، ونجد الكثير من اللسانين قدموا أبحاثًا وضعوا من خلالها قاعدة، لإمكانية وجود علاقة علمية ومنهجية بين كل من اللسانيات وتعليمية اللغة، فمند القرن التاسع عشر ظهرت هناك محاولات اهتمت بهذه العلاقة، وعلى سبيل المثال المحاولة التي قام بها "w.vitor"، حيث حاول استثمار أبحاثه الصوتية في تعليم اللغات، وجهود الباحث الفرنسي " paul passy" في مؤلفيه: الطريقة المباشرة في تعليم اللغات الحية (1899)، وكتاب: علم الأصوات وتطبيقاته، ليأتي فيرت "firth" ويحاول تأكيد العلاقة الموجودة بين العلمين.

لكن هذه العلاقة القوية بين اللسانيات ومجال تعلم وتعليم اللغات، لا ينفي تداخل هذا المجال مع علوم وتخصصات أخرى كالتربية، وعلم الإجتماع، وعلى وجه خاص علم النفس، حيث يعد مصطلح " التعلم " من المصطلحات المركزية والجوهرية التي يعالجها علم النفس،« والواقع أنَّه لم يحظ أي موضوع آخر

(1) مصطفى بن عبد الله بوشوك: تعليم وتعلم اللغة العربية، مطبعة النجاح، المغرب، ط 3، 2000، ص 60.
(2) لطفي بوقربة: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، منشورات معهد الأدب واللغة، جامعة بشار، (د.ت)، ص 19.

من موضوعات علم النفس، بمثل ما حظي به موضوع التعلم من عمق في البحث والدراسة، ومند أن بدأ الاهتمام بدراسة سلوك الإنسان ظلَّ التعلم وقضاياه موضع اهتمام الباحثين».[1]

إذن فقضية تعلم وتعليم اللغات قضية تكون شبه مشتركة بين العلوم الإنسانية، لذلك لم يقتصر تفسير سير هذه العملية على المربي، أو اللساني أو عالم النفس فقط، وإنَّما تطلب تفسيرها تفاعل كل هذه الأطراف مع بعضها، لتقديم التفسير الأنسب للإطار الذي تسير وفقه هذه العملية.

وعلى هذا شكلت قضية اكتساب وتعلم اللغة مجال بحث بالنسبة للغويين واللسانيين، الذين عالجوها من خلال نظرياتهم الألسنية، حيث طرح هؤلاء مجموعة من الأسئلة المتعلقة بهذا المجال منها: ماذا يعني أن يعرف الإنسان لغة ما؟ وكيف يضعها موضع الإستعمال؟ وكيف يكتسب الإنسان هذه اللغة؟ وماهي الآليات التي تمكن فرد معين من تعلم اللغة؟ وماهي الطريقة المثلى التي يتعلم من خلالها الإنسان اللغة؟ وهل تعلم اللغة شيء فطري؟ أم اللغة مجرد سلوك يُكتسب كغيره من السلوكات؟؟، وقد جاءت الإجابة عن هذه الأسئلة متباينة ومتعددة، خاصة بين ما أجابت به الدراسات البنيوية وبخاصة السوكية، وبين ما أجابت به النظرية التوليدية التحويلية، ولفهم ما جاءت به هذه الأخيرة فيما يتعلق بعملية اكتساب وتعلم اللغة، لابد من العودة إلى الآراء البنيوية السلوكية في هذا المجال، لأنَّ آراء تشومسكي حول تعلم اللغة قامت بالأساس على نقد الآراء السلوكية ورفضها، وطرح بدائل عنها.

1. آراء المدرسة البنيوية السلوكية Behaviorism

لقد كانت هناك أسباب كثيرة أدت إلى ظهور الإتجاه البنيوي السلوكي في دراسة اللغة، من بينها توجه العلماء واللغويين إلى استخدام الحيوانات في التجارب المخبرية، كمحاولة لإيضاح ما يتضمنه السلوك الإنساني، وكذا« انتشار الإنتقادات الحادة التي وجهت إلى طريقة الاستبطان[2]، من جهة اعتمادها على الانطباعات

(1) مجموعة من الباحثين، نظريات التعلم_ دراسة مقارنة_، تر: علي حسين حجاج، ج2، سلسلة عالم المعرفة، 1978، ص 15.

(2) = طريقة لملاحظة الحالات الشعورية، يقوم بها الشخص نفسه، فعلم النفس الاستبطاني هو علم دراسة الشعور كأساس للحوادث النفسية (...)، غير أن الاستبطان ليس فقط مجرد الشعور بالحالات الذهنية، وإنَّما وصفها وتحليلها أيضًا(...) لقي علم النفس الاستنباطي هجومًا عنيفًا من طرف السلوكيين، واتهم بالذاتية والبعد عن الموضوعية= (رزيقة عدناني: الكافي في الفلسفة، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، ط3، 2004، ص 354.)

الفطرية لأشخاص المختبرين، ومن ثم فقد اتجه السلوكيين إلى استخدام طرق رأوا أنها تحقق شرط "الموضوعية" مثل: التجريب والملاحظة والقياس، وذلك من أجل جعل علم النفس موازيًا في دقته للعلوم الطبيعية».[1]

إنَّ المفاهيم البنيوية في مجال تعليمية اللغة مرتبطة بشكل مباشر بمبادئ علم النفس السلوكي، لهذا كانت نظرة أصحاب هذا الإتجاه إلى اللغة، نظرتهم نفسها إلى أنواع السلوك الأخرى التي تُكتسب وفق ثنائية المثير والإستجابة،« بمعنى أن المتعلم يتعلم اللغة بناء على تكرار الجمل أو تقليد البنى اللغوية»[2]، وقد كان من نتائج هذا الطرح أن فَصل أصحاب هذه النظرية بين اللغة والعقل فصلاً تامًا، نتيجة اعتقادهم أنَّ اللغة عادة كلامية يكتسبها الإنسان وفق عملية يحكمها وجود مثير تحدث إثره استجابة، وتُتبع هذه الإستجابة بتعزيز، وهذه« الآلية هي الآلية الوحيدة التي تقترحها المدرسة السلوكية في علم النفس، في تفسير طبيعة المعرفة (...)، ووفقًا لهذه الرؤية ليست اللغة غير نظام من المهارات والعادات، وتحكم تعلمها نفس الآلية، اللغة بهذا نظام خارجي يكتسبه الإنسان بعد أن كان ذهنه صفحة بيضاء خالية منه».[3]

وعلى هذا كان المنهج البنيوي بطرائقه وأساليبه المختلفة يبني العملية التعليمية على عناصر محددة كالذاكرة، والتكرار، والمحاكاة والتمارين والتعليم بالمحاولة والخطأ والتعزيز، وهذا يستلزم أن تكون المادة التعليمية سليمة من الخطأ، كما يجعل المتعلم في موقع سلبي يردد ويتذكر ويحاكي كل ما يسمعه، ولا دور له في إنتاج وإبداع تراكيب لغوية جديدة .

إذن وفي ظل المنهج السلوكي التجريبي،« يسعى علم النفس إلى تحليل السلوك الإنساني من حيث هو تكّون عادات، وتندرج من ضمن هذه العادات المتكّونة، العادات الكلامية (أي اللغة الإنسانية)، فاللغة ترّتد، من هذا المنظار، إلى مظاهرها الثانوية، أي إلى مجموعة استجابات كلامية لأحداث عملية معينة، والخلط بين اللغة وبين مظاهر تعود لها، نراه بوضوح عند عالم النفس الأمريكي سكينر (Skinner) في كتابه "السلوك الكلامي"، وهذا الكتاب كان الهدف المباشر لانتقادات تشومسكي التي انصبت على المذهب السلوكي، وعلى

(1) محي الدين محسب: انفتاح النسق اللساني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 99.

(2) نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة مولود معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيزي وزو، 2010_2011، ص 134.

(3) بكداش كمال، رزق الله رالف: مدخل إلى ميادين علم النفس ومناهجه، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص 98.

المنهجية التجريبية التي كوَّنت الإطار المنهجي لهذا المذهب»[1]، حيث شكك تشومسكي في جدوى الآليات التدريبية التي اقترحها أسلافه السلوكيين، الذين كانوا يعتقدون أن الناس يتعلمون اللغة انطلاقًا من قدرة الإنسان على استيعاب ما يصادفه من الخبرات والتجارب، عن طريق التكرار والتدريب والمحاكاة والتذكر، وقد كان العجز الفادح للنظرية السلوكية في تفسير الكثير من القضايا المتعلقة باكتساب اللغة، خاصة ما تعلق بقضايا إبداعية اللغة، التي تبدو واضحة جدا عند الطفل وخاصة في مراحل نموه الأولى، جعل تشومسكي يرفض مبادئ هذه النظرية ومفاهيمها تمامًا، حيث رفض رفضًا مطلقًا نظرة السلوكيين لعملية الاكتساب اللغوي الذين حصروها في مفهوم المثير والإستجابة والتعزيز، وجعلوا عملية اكتساب وتعلم اللغة رهينة تأثير المحيط، وبما أنَّ« تشومسكي (..) عقلاني، ويسير على خطى أفلاطون Plato، وديكارت Descartes، كما يؤمن بأن للعقل تركيبًا في غاية الثبات والتعقيد يحدد شكل نشاطه إلى حد كبير، فما نقدر على تعلمه لا يعتمد على شكل تلك الحوافز التي نصطدم بها بقدر ما يعتمد على ملائمة شكل تلك الحوافز لإيقاظ قدراتنا الذهنية الكامنة (...)، ومن ناحية أخرى يرى تشومسكي أن اكتساب اللغة عند الطفل ليس سوى ملئ تفاصيل بسيطة نسبيًا في خطة بنيوية مكتوبة سلفًا، ويقول تشومسكي أنَّه لو حاول أحدنا أن يعلم الطفل لغة لا تتفق مع تلك الخطة، لما تمكن الطفل من إتقانها مهما كانت بسيطة».[2]

ورغم أن هدف تشومسكي لم يكن وضع نظرية تطبق في حقل تعليمية اللغة، إلاَّ أن الكثير من أرائه استثمرت في هذا الحقل، وفيما يلي آراء تشومسكي في عملية اكتساب وتعلم اللغة والتي قامت أساسًا –كما ذُكر سابقًا- على نقد الطروحات البنيوية وخاصة في صورتها الأمريكية، وتجدر الإشارة أن تشومسكي لم يتحدث عن الاكتساب والتعلم بصفة معزولة كل على حدى، بل إنَّه تحدث عن الطريقة التي يمتلك بها الإنسان نظام المعرفة ، وعن القدرة التي تسمح له بفهم وإنتاج جمل لا حصر لها في لغته.

ينطلق تشومسكي في بنائه لنظريته العقلية من رفض مطلق للنظرية السلوكية ذات النزعة الفلسفية التجريبية، والتي تعتبر اللغة مجموعة عادات كلامية يكفيها حافز البيئة _كما ذُكر سابقًا_ ولا ترتبط الاستجابة الكلامية فيها بأي شكل من أشكال التفكير أو العمل العقلي، ولا تميز بين السلوك الإنساني وغيره من أنواع

(1) ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، (مرجع سابق)، ص 145_146.
(2) جفري سامسون: مدارس اللسانيات.التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، (مرجع سابق)، ص 154_155.

السلوك الأخرى التي تختص بها باقي الكائنات، فكان هدف الدراسة في النظرية السلوكية دراسة اللغة على أساس أنَّها سلوك يكتسب كغيره من أنواع السلوك الأخرى، بينما« يرى تشومسكي أن هدف الدرس اللساني يتمثل ببناء نظرية للغة الإنسانية، وهذا بالنسبة لتشومسكي هو ما يجعل من هذا الدرس علمًا، فعنده لا يشكل درسٌ علمًا إذا اقتصر على وضع اجراءات تحليلية توصف وفقًا لها معطيات ظاهرة معينة، فالعلم- أي علم- لابد له أن يسعى إلى وضع نظرية تُفسر الظاهرة التي يتصدى لدرسها، ومن هذا المنطلق يقدم تشومسكي ثلاثة أو أربعة أسئلة تحدد مسار البحث العلمي وأهدافه في الدرس اللساني، هي:

1_ «ما الذي تعنيه معرفة اللغة؟

2_ كيف يعرف الإنسان لغته؟

3_ كيف يستخدم الإنسان تلك المعرفة؟

4_ ما هو الأساس المادي لتلك المعرفة؟»[1]

ويعقب تشومسكي أثناء إجابته عن هذه الأسئلة بقوله:« هذه الأسئلة قديمة، وإن لم تكن تصاغ بالصورة التي أوردت»[2]، ومحاولة الإجابة عنها يقتضي تمييز الجانب الداخلي للغة والذي يتمثل في« القواعد التي تتأسس عليها بنية النظام اللغوي، والتي لا يمكن وصفها بأوليات وظيفية أو دلالية أو اجتماعية، بل إنّها تحدد بأوليات نابعة من هذا النظام، إنّها الجوانب التي لا يمكن ردها إلى عوامل أو اعتبارات خارجة عن النظام اللغوي ذاته: كآليات معرفية عامة، أو عوامل تطورية، حضارية أو اجتماعية ...إلخ».[3]

إنَّ إقرار تشومسكي بأنَّ لإنسان قدرة عقلية وراء معرفته بلغته جعله يقر بأنَّ« المبادئ العقلية وحدها هي الكفيلة بتفسير عملية اكتساب وتعلم اللغة، فالطفل يولد في نظره، وهو مزود بقدرات فطرية تؤهله لتقبل المعلومات اللغوية _وهذا ما أطلق عليه الفطرية اللغوية_، ولتكوين بنى اللغة، أي أن له قدرة على تكوين قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، فهو يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد الكامنة ضمن المعطيات

(1) مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص 19 .
(2) نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 4 .
(3) المرجع نفسه: ص20_21 .

اللغوية التي يسمعها، ويسمي تشومسكي هذه القدرة بالملكة اللغوية (Compétence liguistique)، وهي ملكة فطرية بديهية لا شعورية، تجسد العملية التي يقوم بها المتكلم من أجل صياغة جملة وفق مجموعة منظمة من القوانين»[1]، لهذا طرح تشومسكي بديلاً مغايرًا للآليات البنيوية، ويتمثل هذا البديل« في اكتساب متكلم اللغة الأجنبي قواعد التحويل التي تمكن من صياغة العديد من الجمل، واستدل "تشومسكي" على صحة نظريته بمثال الطفل الذي يكتسب الظواهر النحوية للغته الأم بطريقة لا تقوم على التكرار والمحاكاة، فلا نستطيع أن نفهم سرعة التطور اللساني عند الطفل، إلاَّ إذا افترضنا أنه يكّون قواعد نحوية انطلاقًا من جمل مسموعة ومكررة لابتكار الجمل الجديدة، وانطلاقًا من هذا المنظور، نقد تشومسكي آلية التدريبات البنيوية، وما تتسم به من جو تعليمي مصطنع داخل الفصل».[2]

لقد كانت اللغة زمن البنيويين التجريبيين تُفسر بقوانين المثير والإستجابة والتعزيز، التي طبقت على حيوانات كالقطط والكلاب والفئران، لكن تشومسكي يرفض هذه القوانين ويلفت الأنظار إلى حقيقتين جوهرتين تدخلان بشكل مباشر في عملية اكتساب وتعلم الإنسان اللغة وأي لغة كانت،« والحقيقة الأولى أن أي جملة ينطقها الإنسان أو يفهمها، إنَّما هي ربط جديد بين الكلمات، وتظهر لأول مرة في تاريخ الكون، لذلك لا يمكن أن تكون اللغة رصيدًا من الاستجابات، فلابد إذن أن يحوي العقل وصفة أو برنامجًا يمكنه من أن يبني عددًا غير متناه من الجمل، مستخدمًا قائمة محدودة من الكلمات، ويمكن أن يسمى هذا البرنامج " نحوًا عقليًا " (...)، أما الحقيقة الجوهرية الثانية فهي أنَّ الأطفال ينمون هذه الأنحاء المعقدة بصورة سريعة ومن غير تعليم مقنن، ويعطون أثناء نموهم تفسيرات مطردة لتركيبات الجمل الجديدة، التي لم يسبق لهم التعامل معها، لذلك لابد أن يكون الأطفال، كما يقول، مجهزين فطريًا بخطة عامة لأنحاء اللغات كلَّها، أي بنحو كلي»[3]، أي أنَّه لا يوجد تعليل لتلك السرعة التي يتمتع بها الطفل في اكتسابه للغته، غير أن لهذا الطفل استعداد فطري يمكنه من تعلم اللغة بشكل سريع.

(1) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، (د.ط)، 2003، ص 59.

(2) مجموعة من الباحثين: نظريات التعلم- دراسة مقارنة-، تر: علي حسين حجاج، (مرجع سابق)، ص 159.

(3) ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية.كيف يبدع العقل اللغة؟، تر: حمزة بن قبلان المزيني، مكتبة المريخ، الرياض، السعودية، (د.ط)، 2000، ص 30.

إن القول باستقلالية القواعد في النظرية التوليدية التحويلية، التي تمكن الإنسان من تعلم اللغة عن كل المثيرات الخارجية قول تدعمه الكثير من الأدلة، فمجرد النظر إلى هذه القواعد يتجلى لنا أنَّه لا يمكن أن نرد هذه القواعد إلى عوامل خارجة عن نظام اللغة،« ويقدم نظام جنس الأسماء (تذكيرها وتأنيثها) في العربية مثالاً صارخًا على هذا، فانقسام الأسماء إلى مذكرة ومؤنثة لا يعكس أنظمة المعتقدات البشرية مثلاً (...)، والحالات الإعرابية كذلك لا يمكن القول أنَّها متأسسة على عوامل غير شكلية، أو عوامل خارج القواعد».[1]

وحول مبدأ الاستقراء والتشريط أو ما يعرف بالاجراءات الكشفية في النظرية السلوكية، وهو الذي يقول بضرورة إجراء التجريب المعملي لإثبات صحة الأحداث اللغوية، يرى تشومسكي بأنَّ هذ المبدأ« مبرر في الغريزة الحيوانية كفرض تجريبي، وأن العقل هو العضو الأرقى عند الإنسان، وهو يقوم بدوره بأرقى الوظائف الإنسانية وأسماها، ومن ثم فإنَّ التخمينات العقلية ينبغي أن تكون بديلاً نُعول عليه في القول بصدق الحدس اللغوي عند الإنسان».[2]

وعلى هذا تُدرس اللغة وفق النظرية التوليدية التحويلية بالتركيز على نقاط وجوانب محددة تتمثل في:

- أكد تشومسكي أن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على تعلم اللغة بشكل سليم .
- التعلم في عرف تشومسكي هو التعرف على ماهو موجود في أذهاننا مسبقًا والتعبير عنه بالكلام.
- العقل البشري مزود بقدرات لتعلم اللغة، ويطلق على هذه القدرات "جهاز اكتساب اللغة " Language Acqusition device،« وهذه القدرات هي العوامل الأولى في اكتساب اللغة».[3]
- يشترط في تعليم اللغة وفقًا لهذه النظرية تحكم متعلم اللغة في النظام الصوتي، والمعجمي للغة ونظام القواعد النحوية، حتى يستطيع الدارس ممارسة اللغة على نحو صحيح، فالمتعلم هنا فاعل أساسي في بناء المعرفة والتعلم، مما يستلزم استحضار جانب التعلم الذاتي في كل الأنشطة.

(1) مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، (مرجع سابق)، ص 23_24.

(2) نعوم تشومسكي: اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص 61.

(3) محمد علي الطنطاوي: نظرية اكتساب اللغة بين ابن خلدون وتشومسكي وبياجيه، منشورات الجامعة العالمية الماليزية، بانجي، ماليزيا، 2011، ص 140 .

- تعتمد هذه النظرية على الفهم وتعليم اللغة يتم في إطار المعنى،« لأنَّ إدراك الصغار لمعاني الكلمات أو النص يساعدهم على التقدم في عملية التعلم ».[1]
- «لا تهدف هذه النظرية في تدريس اللغة إلى حصر المواقف اللغوية وتدريب الدارسين عليها كما هو الحال في النظرية السلوكية، بل الهدف هو تدريب المتعلم على الاستخدام الصحيح للقواعد في مواقف جديدة من الصعب التنبؤ بها أو حصرها، وهنا يكمن التوليد والتحويل والابتكار».[2]
- تركز نظرية النحو التوليدي التحويلي في التدريس على البنية العميقة، فالتدريبات يجب أن تراعي العلاقات النحوية الأساسية في البنية العميقة، ولا يجوز الاكتفاء بتدريبات تعتمد على البنى السطحية فقط، كما فعلت النظرية السلوكية التي ركزت على العبارات والتراكيب المنطوقة أو المكتوبة.
- يرى تشومسكي أن« دور العائلة يقف عند حدود ما يسميه الدور التوسيعي، حيث يردد الأطفال في الكثير من الأحيان الجمل التي يتفوه بها الكبار، بإدخال بعض التعديلات عليها ليقربوها من الجمل التي تعادلها في لغتهم، ومن ثمة يوسعونها، وتقترب تدريجيًا من الاندماج في لغة الكبار دون أن تقوم الأسرة بطريقة مباشرة بتصحيحها، ولهذا يكتشف الطفل النظم الخاصة بلغة الكبار، فيكون دور الأسرة تسهيل عملية اكتساب الطفل اللغة عن طريق عرض النماذج بعيدًا عن التلقين والتقليد، وهذا ما يفسر استمرار الأخطاء اللغوية لدى الطفل، في محاولته لتنمية ملكته الفطرية على اكتساب الخصائص اللغوية للغته، خصوصًا فيما يتعلق بالتنظيم النحوي».[3]

(1) ثناء يوسف الضبع: تعلم المفاهيم اللغوية والدينية لدى الأطفال، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 2001، ص 55.

(2) ابتهال محمد البار: تعليم اللغة على ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي، منشورات الجامعة العالمية المركزية، بانجي، ماليزيا، 2011، ص 9.

(3) حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري، (مرجع سابق)، ص 61.

المطلب الثاني: مناقشة آراء تشومسكي المتعلقة بتعليم اللغة

أثارت الآراء التي قدمها تشومسكي حول طبيعة اللغة الإنسانية الكثير من الجدل واللجج في الساحة اللغوية العالمية، وتراوحت ردود الأفعال حول أعماله بين القبول والإعجاب المفرط إلى حد التعصب، وبين الرفض المطلق أو المقيد لتلك الأفكار الجديدة التي شكلت مسارًا لغويًا جديدًا ومغايرًا لما كان سائدًا في عهد أسلافه السلوكيين، سواء على مستوى المنطلقات والمبادئ، أو على مستوى المنهجية والتحليل.

والسبب وراء تباين هذه المواقف إلى أن « تشومسكي يهاجم واحدة من الركائز السائدة (...)، وهي نموذج " علم الإجتماع المعيار" الذي يرى أن النفس الإنسانية تشكلها الثقافة المحيطة بها، كما أن هناك سببًا لهذه المواقف، وهو أنَّه ليس بإمكان أي مفكر أن يتجاهل تشومسكي، وكما يعترف الفيلسوف هيلاي بوتنام، وهو من أشرس المناوئين له فإنَّه حين نقرأ ما يكتبه تشومسكي نحس إحساسًا عميقًا بأننا في حضرة قوة فكرية عميقة، إذ نكتشف أننا أمام عقل متفوق، ويعود ذلك بقدر متساو إلى سحر شخصيته القوية، وإلى المزايا الفكرية الواضحة التي يتمتع بها، ومنها الأصالة والأنفة من السطح الساذج، والرغبة في إحياء مواقف تبدو بالية (مثل فكرة الأفكار الفطرية)، والقدرة على ذلك، والاهتمام بمواضيع لها أهمية عظيمة مثل بنية العقل الإنساني».[1]

(1) ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية.كيف يبدع العقل اللغة؟، تر: حمزة بن قبلان المزيني، (مرجع سابق)، ص 32.

وإذا كانت النظرية العقلية التي أسسها تشومسكي وعمل على تطويرها قد تجاوزت النظرية السلوكية في كثير من طروحاتها، بتفسيرها ما عجزت هذه الأخيرة عن تفسيره في ميدان اكتساب وتعلم اللغة، فإنّها هي الأخرى تعرضت لبعض الانتقادات خاصة من الذين اتخذوا مواقف مناوئة لها، وقد عالجت هذه الانتقادات أغلب المفاهيم التي طرحها تشومسكي، حيث رأى هؤلاء أنَّه رغم أن مفاهيم تشومسكي أكسبت اللسانيات بعدًا جديدًا « غير أن تأثيرها في تعليم اللغات انحصر على وجه الخصوص في نقد البنيوية، وظل محدودًا من الناحية التطبيقية، فلم تحسم هذه المبادئ مثل ما تم مع البنيوية، فلا نعثر مع تشومسكي على مثل التصور لصياغة التدريبات أو لإعداد مادة تعليمية، ويرى تشومسكي أننا نصل إلى وصف اللغة وصفًا منسجمًا، وأكثر إيحاء وأكثر مطابقة لحدس المتكلم، إذا تصورنا نحو اللغة في شكل تحويلات تصنيفية اعتمادًا على نظام دقيق ينطلق من نوع محدد من الجمل النواة ومن القواعد التوليدية المركزة على البنية، وهذه ميزة يفتقدها دارس لغة ثانية في المرحلة الأولى من دراسته».[1]

لكن نقد تشومسكي على أساس أنَّه لم يقدم تصورًا واضحًا لصياغة التدريبات أو لإعداد مادة تعليمية، فمردود على صاحبه، لأنَّ هدف تشومسكي لم يكن وضع نظرية تطبق في مجال تعليمية اللغة، بل كان قد صرح في الكثير من المواضع بأنّه لم يحضر بمثابة خبير في ميدان من ميادين تعليم اللغات،« وإنّما حضر لإهتمامه ببنية اللغة بصورة خاصة، وأضاف تشومسكي أن اللسانيات وعلم النفس لم يبلغا، في اعتقاده، مستوى الفهم النظري، الذي يخول إنشاء تقنية لتعلم اللغات»[2]، بل يرى أنَّهما « قد جرَّا على المشتغلين في المجالات ذات الطابع العملي والتطبيقي الكثير من الضرر والأذى»[3]، لكن ورغم أن هذه النظرية لم تفرز تصنيفات معينة في إعداد المواد التعليمية، إلاَّ أنَّها مهدت بشكل كبير لظهور الإتجاه التواصلي في تعليم اللغات.

كما رأى نفر غير قليل من اللغويين أن تشومسكي « تعامل مع اللغة بعقل غيبي ما ورائي، بحثًا عن حالة أولية أو بنية أصلية أو لغة مثالية، تتعالى على التجارب والخبرات أو تسبق النصوص والكتابات، وهذا ما جعله يستبعد ما يحدث على أرض الواقع اللغوي، المحسوس والمعاش، من الإنشاءات الخطابية والأفعال

(1) رضا الطيب الكشو: توظيف اللسانيات في تعليم اللغات، منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة المكرمة، السعودية، 2015، ص 154_155.

(2) المرجع نفسه، ص 150.

(3) رشيد بوزيان: الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، ج1، (مرجع سابق)، ص 47.

الكلامية، أو ما ينبني ويتحول من التراكيب النحوية والروابط الدلالية»[1]، لكن تشومسكي كان دائمًا ما يؤكد أن بحث القدرة العقلية علميًا لا يعني الإتجاه نحو الميتافيزيقيا.

ويرى البعض ممن أتى بعد تشومسكي أن« الخطأ الذي وقع فيه تشومسكي في مجال المنهج، هو في الواقع الخطأ عينه الذي ارتكبه السلوكيون (...)، فيما عدا أن تشومسكي جاء معكوسًا فباعتقاد السلوكيين (...) أن ليس هناك شيء نحكم فيه حدسنا، لأنَّ من المحظور على العالم أن يستعمل الحدس كدليل، ويعتقد تشومسكي (وهو على صواب رغم أن عقلانيته قد تقوده إلى التشديد على هذه النقطة بشكل خاص)، أنَّ لدينا عقولاً معقدة ذات حياة خاصة بها نستطيع التوصل إليها بفضل حدسنا، ويستنتج أنَّه لابأس من استعمال الحدس كدليل في وضع التنظير العلمي (...)، مع أنَّه عرضة للخطأ شأنَّه شأن الملاحظة، ولا يمكن أن ينتقد بشكل بناء على النحو الذي تنتقد فيه تقارير الملاحظة».[2]

كما تعرضت المفاهيم النظرية التي طرحها تشومسكي في نظريته إلى الكثير من النقد والمناقشات، خاصة ما تعلق بالتمييز بين القدرة والأداء اللغوي والحدس ومفهوم القواعد النحوية، فالتفرقة التي وضعها تشومسكي بين القدرة والأداء الكلامي كانت خطة منهجية جدا في التحليل اللغوي، لكنه« كان أحيانًا يصف بعض العوامل على أنَّها من الأداء بينما هي تدخل في إطار القدرة»[3]، وبناء على ما نادى به تشومسكي فإنَّ القواعد النحوية لأي لغة من اللغات لابد أن تولد جميع الجمل النحوية في هذه اللغة، لكن« توليد جميع الجمل والجمل فقط في اللغة الإنجليزية أو أي لغة أخرى مطلب طموح بل مستحيل، الحقيقة أن هذا التصور إنَّما يقدم نموذجًا مثاليًا لعمل القواعد النحوية قد يكون من المستحيل تحقيقه (...)، المرء ليس ملزمًا بتصور تشومسكي المثالي عند توليد جميع الجمل والجمل فقط، في اللغة لأنَّ وضع حدود فاصلة بين سلسلة متابعة من الكلمات وبين سلسلة أخرى على أساس احداهما صحيحة نحويا والأخرى غير صحيحة نحويا، أمر من الصعب البت فيه بشكل قاطع».[4]

ضف إلى ذلك فتشومسكي قد جعل من الإنسان أسيرًا لطبيعته« باختزاله مفهوم التوليد وجانب الإبداع

(1) علي حرب: أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديو وتشومسكي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000، ص 75.
(2) جفري سامسون: مدارس اللسانيات.التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، (مرجع سابق)، ص 161_162.
(3) جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، (مرجع سابق)، ص 276.
(4) المرجع نفسه: ص 88_89.

في اللغة، إلى مجرد إجراء حسابي يرى بأنَّه كامن في غياهب العقل أو في تلافيف الدماغ، ومن هنا تعامل مع اللغة والمعرفة والعقلانية بوصفها معطيات عضوية وراثية، أي بوصفها فقط ما نرثه أو نتذكره طبقا لنظام الطبيعة وآلياتها، لا بوصفها ما نقوم باكتسابه وتحصيله أو بصنعه وإنجازه، بذلك يتراجع تشومسكي عن مشروعه التوليدي وينقلب على إنجازه الألسني الإبداعي»[1]؛ وكأنَّه يتناقض مع ما قدمه وينفي القدرة الإبداعية التي يختص بها الجنس البشري والتي طالما ما أكد عليها منذ المراحل الأولى لنظريته.

هذه مجموعة من الانتقادات التي طرحها بعض الباحثين حول ما قدمه تشومسكي، فيما يتعلق تحديدًا بعملية تعلم واكتساب اللغة فقط، وعلى الرغم من هذه الانتقادات التي اتفقت في مجملها على كثرة تعقيد وتجريد مفاهيم هذه النظرية، وعدم توافق نماذجها أثناء تطبيقها في ميدان التعليم، شكلت النظرية التوليدية التحويلية أنموذجًا علميًا فريدًا من نوعه في الدراسات اللغوية، حيث أثبتت فعاليتها في وصف المسار اللغوي، ويعود هذا النجاح للأسس والمنهج والمفاهيم التي اعتمدها تشومسكي أثناء وضعه لنظريته، لكن هذا لا يعني أن هذه النظرية غير قابلة للنقد أو النقاش بل هي مفتوحة على ذلك ولطالما أدى انتقادها إلى تطورها وظهور أشياء جديدة فيها.

(1) علي حرب: أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديو وتشومسكي)، (مرجع سابق)، ص 76 .

الخاتمة

الخاتمة

حاول البحث أن يكشف عن المسائل الهامة، على الأقل، في النظرية التوليدية التحويلية، المرتبطة بعملية تعليم وتعلم اللغة، ومما تقدم في فصلي هذا البحث وصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كانت على النحو الآتي:

1. قامت الآراء النظرية في النحو التوليدي التحويلي حول اللغة الإنسانية على نقد ورفض الأطروحات البنيوية المرتبطة بمبادئ علم النفس السلوكي، التي اعتبرت اللغة عادات كلامية تُكتسب وفق ثنائية المثير والإستجابة، حيث شكك تشومسكي في جدوى التدريبات البنيوية التي تركز على الحفظ والتكرار، والترديد والمحاكاة والتذكر، كما رفض مبدأ التقليد الكلي في عملية اكتساب وتعلم اللغة، لأنَّ التسليم بهذا المبدأ يحول متعلم اللغة إلى ببغاء يردد كل ما يسمعه فقط، دون أن يكون له دور في إنتاج جمل جديدة، كما ينفي هذا المبدأ السلوكي كل تصور عقلاني للغة وهذا ما يعارضه تشومسكي كثيرًا، بل ويقر بأنَّه لا وجود للغة خارج إطار تصورها العقلي.
2. حدد تشومسكي موضوع الدراسة الألسنية في الإنسان المتكلم _المستمع المثالي_ في أي مجتمع كان، من حيث كونه هو مصدر المادة اللغوية حين يستعمل معرفته باللغة في عملية إنتاج الجمل.
3. لم يكن هدف تشومسكي عند وضعه نظريته اللغوية تفسير أو تقديم طرق يتم من خلالها تعلم اللغات، إنّما كان هدفه وصف اللغة الإنسانية وتفسير السر الكامن وراء قدرة الإنسان _من حيث هو إنسان_ على اكتساب نظام المعرفة، إلاَّ أن المنهجية والآراء الجديدة التي قدمها _تشومسكي_ كبديل للطرح السلوكي، شكلت نقاطًا جوهرية بالنسبة لمجال تعليمية اللغة، حيث حاول المتخصصون تطبيقها للوصول إلى أسهل الطرق لتعليم اللغات.
4. تقر النظرية التوليدية التحويلية بأنَّ الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على فهم وتعلم اللغة، ورغم قدرة بعض الحيوانات على إصدار بعض الأصوات إلاَّ أنَّها قدرة محدودة وغير مقترنة بفهم، عكس القدرة الإنسانية التي يستطيع من خلالها متكلم اللغة إنتاج عدد لا متناه من الجمل في أي لغة كانت.
5. تعدى تشومسكي الوصف الذي كان سائدًا في الدراسات البنيوية إلى التفسير، حيث رأى عدم كفاية وصف اللغة و ظواهرها وإحصائها، بل لابد من استعمال التفسير والاستبطان.

6. يرى تشومسكي أن الوقت الذي يتعلم فيه الطفل اللغة وجيز جدا، على نحو غير قابل للتفسير، ما لم يمتلك الطفل قدرة فطرية على تعلم اللغة، لهذا يؤكد على مقولة "الفطرية اللغوية"، التي تمثل حجرًا أساسًا يعتمد عليه المبنى كله، وقد قادته هذه الفرضية إلى فرضية أخرى تتعلق بها، وهي أن الفطرية اللغوية قائمة على مجموعة من الكليات النحوية وهي ما أطلق عليها "القواعد الكلية".
7. يعتمد منهج تعليم اللغة في هذه النظرية بشكل كبير على تنمية القدرات الذهنية للمتعلمين، فمَّا نقدر على تعلمه لا يعتمد بشكل أساسي على الحوافز التي نصطدم بها، بقدر ما يعتمد على ملائمة شكل تلك الحوافز لإيقاظ قدراتنا الذهنية الكامنة.
8. كانت المواقف التي قدمتها النظرية التوليدية التحويلية في مجال اكتساب وتعلم اللغة، من أكثر المواقف واقعية في تفسير هذه الظاهرة، إلاَّ أنَّه لا يمكن قبول ما طرحته بشكل مطلق ونهائي، كما أنَّه من الصعب تطبيق هذه المواقف عمليًا بسبب الإغراق الشديد في التجريد.

ملحق المصطلحات

ملحق المصطلحات:

المقابل بالإنجليزية	المقابل بالفرنسية	المصطلح باللغة العربية
Créative	Créatif	الإبداعية
performance	Performance	الأداء
Introspection	Introspection	الإستبطان
Acquisition	Acquisition	اكتساب
Language acqusition	L'acquisition du langage	اكتساب اللغة
Syntatic structures	Structures syntaxiques	البنى التركيبية
Surface structure	Structure surface	البنية السطحية
Deep structure	Structure profonde	البنية العميقة
Structuralism	Structuralisme	البنيوية
Experimental	Experimental	التجريبية
the tagemimique	La tagemimique	التجميمية
Transformation	Tronsformation	التحويل
the distributionalism	la distributionnalisme	التوزيعية
Generation	Génération	التوليد
Chomskyan revolution	révolution de La chomsky	الثورة التشومسكية

Sentence	La phrase	الجملة
Generative sentence	La phrase générative	الجملة التوليدية
Non kernel	Phrase tronsformé	الجملة المشتقة
Grammatical sentence	Phrase grammaticale	الجملة النحوية
Non grammatical sentence	Les phrases non grammaticales	جملة غير نحوية
Ungrammatical sentence	Phrase gramaticale	جملة نحوية
Device	Instrument	جهاز
Language acqusition device	Disposition d'acqusition du language	جهاز اكتساب اللغة
Intuition	Intuition	الحدس
Scholasticism	Scolastique	السكولاستية
Verbal behaviour	Comportement verbal	سلوك كلامي
Behaivorism	Behavioral	السلوكية
Psychology of learning	Psychologie de l'apprentissage	سيكولوجية التعلم
Finite number	Un nombre limité	عدد محدود
Linguistics	Linguistique	علم اللغة
Behaviourstic psychlogy	Behavioural Psychology	علم النفس السلوكي
Inborn knowledge	Innéisme linguistique	الفطرية اللغوية

Transformational generative grammar	Grammaire génerative et transformationalle	قواعد توليدية تحويلية
Comptence	Compétence	الكفاءة
Language	La langue	اللغة
Speaker	Le locuteur	المتكلم
Ideal speker listener	locuteur L 'idéal Interlocuteur	المتكلم_ المستمع المثالي
Rationalism	Rationalisme	المذهب العقلي
Base component	Composante de base	المكون الأساسي
Tronsformational component	Le composant tronsformationnel	المكون التحويلي
Semantic component	Composante sémantique	المكون الدلالي
Pohonological component	Composante phonologique	المكون الصوتي
Language faculty	Faculé du langage	ملكة اللغة
Grammar	Grammaire	نحو
Universal grammar	Une grammaire universelle	نحو كلّي
Grammaticality	La grammaticale	النحوية
Theory	La théorie	النظرية
Learning theory	théorie de l'apprentissage	نظرية التعلم

Standard theory	La théorie standard	النظرية المعيارية
Extended standard theory	La théorie standard étendue	النظرية المعيارية الموسعة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، الأردن، ط2، 2007.
2. ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1963 ، ص1017-1018.
3. أبو البركات الأنباري: لمع الأدلة في أصول النحو، تحق: سعيد الأفغاني، الجامعة السورية، سوريا، (د.ط).
4. أبو الفتح الشهرستاني: نهاية الأقدام في علم الكلام، تحق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).
5. أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، الجزائر، 1999.
6. أحمد خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1984، ص 51.
7. أحمد سليمان ياقوت: في علم اللغة التقابلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1985.
8. أحمد مومن : اللسانيات .النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
9. اسحاق الآمين: دليل الطالب إلى النحو التحويلي _مختصر شروح رادفورد على نظرية تشومسكي المعيارية الموسعة_، مطابع الظفرة، أبوظبي، (د.ط)، (د.ط).
10. أفنان نظير دروزة: النظرية في التدريس وترجمتها عمليًا، دار الشروق، عمان، ط1، 2007.
11. بشير أبرير: تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2007.
12. بكداش كمال، رزق الله رالف : مدخل إلى ميادين علم النفس ومناهجه، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1985.
13. التواتي بن التواتي: المدارس السانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر، (د.ط)، 2008.

[14] ثناء يوسف الضبع: تعلم المفاهيم اللغوية والدينية لدى الأطفال، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 2001.

[15] حسام البهنساوي: نظرية النحو الكلّي والتراكيب اللغوية العربية(دراسات تطبيقية)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

[16] حفيظة تازورتي: اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري، دار القصبة لنشر، حيدرة، الجزائر، (د.ط)، 2003.

[17] رزيقة عدناني: الكافي في الفلسفة، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، ط3، 2004.

[18] رشيد بوزيان: الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، ج1، دار القرافي للنشر (د.ط)، المغرب،1993.

[19] رضا الطيب الكشو: توظيف اللسانيات في تعليم اللغات، منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة المكرمة، السعودية، 2015.

[20] رفعت كاظم السوداني: المنهج التوليدي التحويلي- دراسة وصفية و تاريخية منحى تطلبي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، دار دجلة، الأردن، ط1، 2009.

[21] زكي كريم حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ط3 ،1993.

[22] سميرشريف إستيتية: اللسانيات، المجال، الوظيفة، المنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2005.

[23] السيد الشرقاوي: الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

[24] سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

[25] شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

[26] صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، ط3، 2009.

[27] صبري إبراهيم السيد: **تشومسكي، فكره اللغوي وآراء الثقافة**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1989.

[28] عاطف فضل: **مقدمة في اللسانيات للطالب الجامعي**، دار الرازي، عمان، ط1، 2005.

[29] عبد العزيز العصيلي: **النظريات اللغوية والنفسية، وتعليم اللغة العربية**، مطابع التقنية للأوفست، الرياض، السعودية، (د.ط)، 1999.

[30] عبد القادر الفاسي الفهري: **اللسانيات اللغة والعربية**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

[31] عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ، ط5، 2004.

[32] عبده الراجحي: **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 2004.

[33] علي حرب: أصنام النظرية وأطياف الحرية (نقد بورديو وتشومسكي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000.

[34] لطفي بوقربة: محاضرات في اللسانيات التطبيقية، منشورات معهد الأدب واللغة، جامعة بشار، (د.ت)،

[35] مازن الوعر: **دراسات لسانية تصنيفية**، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الجزائر، ط1، 1989.

[36] مازن الوعر: **لقاء مع نعوم تشومسكي**، مجلة اللسانيات ، ع6، جامعة الجزائر، 1982، ص 72.

[37] محمد الدريج: تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، الجزائر، ط1، 2000.

[38] محي الدين محسب: انفتاح النسق اللساني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

[39] مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002.

[40] مصطفى بن عبد الله بوشوك: تعليم وتعلم اللغة العربية، مطبعة النجاح، المغرب، ط 3، 2000.

[41] مصطفى غلفان: **في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها**، دار الكتاب الجديد المتحد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2010، ص33.

[42] مصطفى غلفان، محمد الملاخ، حافظ إسماعيلي: **اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة**، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2010.

[43] ميشال زكريا : الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

[44] ميشال زكريا : **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر** والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

[45] ميشال زكريا: **بحوث ألسنية عربية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، 1992.

[46] نعمان بوقرة: **المدارس اللسانية المعاصرة**، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،(د.ط)، (د.ت).

3_المراجع المترجمة:

1. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر:عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، ع165، الكويت، 1992.
2. جفري سامسون: مدارس اللسانيات.التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1998.
3. جودت غرين: علم اللغة وعلم اللغة النفسي، تر: مجيد الماشطة، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ع:9، 2004.
4. جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1995.
5. رونالد إيلواز: مدخل إلى اللسانيات، تر: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، (د.ط)، 1986.

6. رينيه ديكارت: **مقال عن المنهج** ، تر: محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1985.

7. ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية-كيف يبدع العقل اللغة_، تر: حمزة بن قبلان المزيني، مكتبة المريخ، الرياض، السعودية، (د.ط)، 2000.

8. كاثرين فوك، بيارلي قوفيك: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1984.

9. ماري نوال، غاري بريول: **المصطلحات المفاتيح في اللسانيات**، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، (د.د)، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007.

10. مجموعة من الباحثين، نظريات التعلم_ دراسة مقارنة_، تر: علي حسين حجاج، ج2، سلسلة عالم المعرفة، 1978.

11. نعوم تشومسكي : **المعرفة اللغوية طبيعتها، وأصولها،واستخداماتها**، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1992.

12. نعوم تشومسكي: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ماوراء التفسير، تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

13. نعوم تشومسكي: اللغة والمسؤولية: تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2005.

14. نعوم تشومسكي: **اللغة ومشكلات المعرفة**، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1995.

15. نعوم تشومسكي: جوانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد باقر، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، العراق، ع9، 2012.

3- الدوريات:

أ_المجلات:

1. تعليم اللغة على ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي، منشورات الجامعة العالمية المركزية، بانجي، ماليزيا، 2011.

2. النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في النحو العربي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع29، 2014.
3. قيود النحو الكلي_كيف يكتسب الناس اللغة؟، مجلة الحياة الثقافية، ع139، 2002.
4. لقاء مع نعوم تشومسكي، مجلة اللسانيات، ع6، جامعة الجزائر، 1982.
5. **نحو نظرية لسانية حديثة وواقعية لتحليل التراكب الأساسية في اللغة العربية**، وزارة الثقافة واللارشاد القومي ، الجمهورية السورية ،ع266، 1944.
6. نظرية اكتساب اللغة بين ابن خلدون وتشومسكي وبياجيه، مجلة الجامعة العالمية الماليزية، بانجي، ماليزيا.
7. **المدرسة التجميمية الأمريكية**، كلية اللغة العربية، مجلة جامعة المدنية العالمية، ماليزيا.

4_ الرسائل الجامعية:

1. الصديق آدم بركات آدم، النظرية التحويلية التوليدية وتطبيقاتها على النحو العربي (الرتبة أنموذجا)، أطروحة لنيل الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، الخرطوم، السودان، 2010.
2. نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيزي وزو، 2010_2011.

5_ المراجع الأجنبية:

1. Noam Chomsky: Aspects de la théorie syntascique, traduit de l'analyse par: Jean-claude Milner, édition de seuil.
2. Noam chomsky: le langage et la pensée.Ed. payot paris.1970.